دفع المُعَارِض العقلي في السُّنَّة النبوية

دراسة تطبيقية على حديث

(فَقْءُ موسى - عليه السلام – لعين ملك الموت)

إعداد:

د. سلوى محمود محمد حسين

المدرس بقسم الحديث وعلومه –بكلية البنات الإسلامية
والعربية بالقاهرة – بجامعة الأزهـر

الملخص :

تناولت هذه الدراسة الحديث عن : العلاقة بين العقل والشرع في ضوء الإسلام ، واهتمام الإسلام بالعقل ، باعتباره أحد الضروريات الخمس التي يجب المحافظة عليها ، وباعتباره أيضًا مناط التكليف ، فمتى فُقِدَ العقل فُقِدَ التكليف. وبالرغم من ذلك إلا أن الإسلام جعل العقل تابعًا للشرع ، بحيث قصر مهمته على النظر فيما يرد إليه منه ، فيقوم بفحصه وتحليله استنادًا على القواعد الشرعية وعلى ماُ وِجَد في هذا العقل من العلم الضروري الذي وهبه الله له .

ثم تناولت الدراسة الحديث عن : بداية الاغترار بالعقل وتقديمه على الشرع ، والذي كان على يد فرقة المعتزلة التي ظهرت في عصر التابعين . إلى أن ظهر الاستشراق الذي عُنِيَ بدراسة العلوم الإسلامية عامة ، والسنة النبوية خاصة ، ومنهم : أصحاب المدرسة العقلية الذين وجدوا في منهج المعتزلة ما يخدم أغراضهم الدنيئة ، فتبنوه وساروا على منواله في محاربة السنة النبوية ، وأعملوا عقولهم القاصرة في الطعن فيها بدعوى مخالفتها للعقل .

ثم تناولت الدراسة الحديث عن : أهم المعارضات العقلية في السنة النبوية من وجهة نظرهم ومناقشتها مناقشة موضوعية ، والتي منها : أن العقل أسبق من السنة في الوجود ، فكيف يقدَّم ما هو لاحق على ما هو سابق ؟

ومنها أيضًا قولهم : إن السنة النبوية ما هي إلا نتاج لتفاعل العقل مع الواقع المعاصر له والأحداث الزمنية الواقعة في ذلك الوقت دون غيره .

ثم انتقلت الدراسة إلى الجانب التطبيقي وهو : التطبيق على أحد النصوص الحديثية التي يرون مخالفتها للعقل شكلًا وموضوعًا وهو حديث : فقء موسى – عليه السلام – لعين ملك الموت ، مستدلين على رأيهم الفاسد بعدة معارضات فحواها : أن في هذا النص ما لا يجوز عقلًا لا على الله ، ولا على أنبيائه ، ولا على ملائكته .

وأخيرًا : خُتِمَ البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ، ثم أهم التوصيات الموصى بها في هذا المجال .

Abstract

This study deals with the relationship between the mind and the jurisprudence in Islam and how Islam assigns an important role for the mind. It is one of the five necessities of life that have to be preserved and the tool that receives orders from Allah. Once a person loses his/her ability to reason using the mind, Allah's orders no longer apply to this individual. However, the mind comes second to Islamic Jurisprudence. The mind's role is only to examine what has been ordained in the jurisprudence. An individual's mind investigates and analyzes what is mentioned in the Islamic Jurisprudence based on its rules and the obligatory science Allah has provided that person with.

The study moves on to man boasting of his mind and giving it precedence over jurisprudence; a movement which was initiated by an Islamic party called Al-Moatazilah (The Separatists) who started in the Followers period. This was followed by the movement of Orientalism which took interest in the study of Islamic sciences generally and Sunnah specifically. One school of Orientalism, the Mind Supporters School, found evidence in Al-Moatazilah's methodology to support their ill-intended purposes. Consequently, they adopted that methodology and followed the same path in fighting the Prophet's Sunnah. Mind Supporters School used their minds with their limited reasoning powers to object to what has been mentioned in Sunnah saying that it contradicts with reason.

The study then shifts to tackling the prime Mind Supporters' arguments concerning Sunnah and objectively examines them. One of these arguments states that mind has existed before Sunnah, so how can a science that came later in time gain power over a tool that has pre-existed? Another one is that the Prophet's Sunnah is no other than the result of the mind's interaction with the contemporary period and events happening at that time only.

The study later develops to the practical section in which one hadith is examined. Such a hadith is considered by the Mind Supporters School to conflict with reason in form and content. It is the hadith in which Moses (peace be upon him) stabs the Angel of Death in his eye. They seek evidence in some arguments to support their ill-informed opinion, saying that this hadith does not conform logically to Allah, His messengers or His Angels.

The study ends by stating the most important results clarified by this research and the most necessary recommendations in such a field .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أحيى علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها ، وأعيا فُهُوم الملحدين عن دَركها فرجعت بكلالها ، أحمده وأستكين له من مظالم انقضت الظهور بأثقالها ، وأعبده وأستعين به لعصام الأمور وعِضالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بحصول الدرجات وظلالها ، واقية من حلول الدَرَكات وأهوالها ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الإيمان من ظَلْمة القلوب وضلالها ، وأسمع به وقْرَ الآذان وجلا به رَيْن القلوب بأصقالها ، صلى الله عليه وعلى آله وصَحْبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها [1] .

أما بعد ...

فإن عِلْم المقاصد من العلوم العَلِيَّة ، والمباحث الجليلة ، وهو عِلْم دقيق ، لا يخوض فيه إلا مَن لَطُف ذِهنه ، واستقام فَهْمه ، ودَقَّ اجتهاده . وهو عِلْم أصيل ، راسخ الأساس ، ثابت الأركان مستقِر القواعد،مَرِن الفروع والجرئيات. ومقاصد الشريعة الإسلامية : هي أصولها الكبرى ، وأُسُسها العظمى، وأركانها التي لا تُبْلَى ، وفروعها المتغيرة حسب الزمان والمكان ؛ مراعاة لحال الإنسان .

([1]) مقدمة إحياء علوم الدين للغزالي ١ / ١ ، ط . دار المعرفة بيروت .

ومن ضروريات مقاصد الشريعة الإسلامية التي تهدف إلى المحافظة على البشرية من الزيغ والضلال: حِفْظ العقل. فالعقل : هو مناط التكليف ، وهو الذي يتميز به الإنسان عن غيره من سائر المخلوقات .

وحِفْظ العقل في الشرع لا ينحصِر فقط في المحافظة عليه من كل ما يُخِلُّ به من أمور مادية قد تُذْهِب به من تناول المُسْكِرات وغيرها . بل إن حِفْظ العقل يتجلى بوضوح في المحافظة عليه من كل ما يُخِلُّ به من أفكار شاذة وآراء سقيمة قد تُفْقِد هذا العقل قيمته التي حباه الله بها ، وتودي بصاحبه إلى الهاوية .

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتتناول : أهم المُعارِضات والشبهات العقلية ، والتي يثيرها المنتمون إلى المدرسة العقلية حول السُّنَّة النبوية المطهرة ، ودَفْعها بما يوجب دحضها عقلًا ونقلًا .

فمما لا شك فيه أن المجتمع وبخاصة في الآونة الأخيرة أصبح يَعُجُّ بأولئك الذين يتعمدون إثارة الفِتَن بين أفراده ، ومن بينهم : أولئك الذين يريدون الطعن في السُّنَّة النبوية المطهرة والنَّيْل منها ، وزعزعة المسلمين تجاهها ، وصولًا إلى ردها كليًا أو جزئيًا .

الأمر الذي دعاني أن أسهم ولو بقدر قليل في التصدي لمثل هذه الشبهات ، لاسيما وإن كانت متعلقة بمقصِدَين من مقاصد الشريعة الإسلامية وهما : حِفْظ العقل ، وحِفْظ الدِّين ، باعتبار أن السُّنَّة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية .

منهج البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج التحليل النقدي ، حيث ذَكَرت أهم المُعارِضات العقلية في السُّنَّة النبوية المطهرة ، وقمت بتحليلها تحليلًا نقديًا دقيقًا ، وصولًا إلى دَفْعها بما يقتديه النقل والعقل .

خطة البحث

تنقسم هذه الدراسة إلى : مقدِّمة ، وتمهيد ، وأربعة مباحث ، وخاتمة .

أما المقدمة فقد اشتملت على : الداعي لاختيار موضوع البحث ، وخطته ، والمنهج المتبع فيه .

وأما **التمهيد** فقد اشتمل على : التحليل اللغوي والتركيبي لمفردات عنوان البحث ، ثم الحديث عن : نشأة الطعن في السُّنَّة النبوية المطهرة حتى ظهور الاستشراق .

وأما **المبحث الأول** فيتناول الحديث عن : العلاقة بين العقل والشرع في ضوء الإسلام ، واحتياج كل منهما للآخر .

وأما **المبحث الثاني** فيتناول الحديث عن : الاغترار بالعقل وتقديمه على الشرع ، بداية من ظهور فرقة المعتزلة ، ووصولًا إلى أصحاب المدرسة العقلية .

وأما **المبحث الثالث** فقد تناول الحديث عن : أبرز المُعارِضات العقلية في السُّنَّة النبوية المطهرة ، ومناقشتها بحيادية وموضوعية .

وأما **المبحث الرابع** فهو عبارة عن : دراسة تطبيقية على حديث فَقْء موسى – عليه السلام – لعين مَلَك الموت ، وذلك بذِكر المُعارِضات العقلية الواقعة في هذا الحديث من وجهة نظرهم ومناقشتها .

وأما **الخاتمة** فقد اشتملت على : أهم النتائج والتوصيات في هذه الدراسة .

والله أسأل أن يرزقني السداد ، فهو وَلِيّ ذلك والقادر عليه ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

تمهيد

مما يَحْسُن ذِكْره في هذا المقام أن أَشْرُع في بيان التحليل اللغوي والتركيبي لمفردات عنوان هذا البحث ؛ لتكتمل الفائدة ، وتتضح الصورة جلية في ذِهن القارئ .

أولًا : الدَّفْع: مصدر دَفَعَ يَدْفَع، وهو: الإزالة بقوَّة، ودفع القول : رده بالحجة[1] .

ثانيًا : المُعَارِض : اسم فاعل من: عارضَ يعارض معارضةً، فهو مُعارِض، والمفعول : مُعارَض .

ومن معاني (عَارَضَ) : عارضه : رفض قولَه أو عملَه وناقَشه فيه، ناقضه في كلامه وخالفه، جانبه وعدَل عنه ، قاطَعه، عَارَضَ أَقْوَالَهُ : عَاكَسَهَا، قَاوَمَهَا،عَارَضَ الأَقْوَالَ بِالأَفْعَالِ : قَابَلَهَا، عَارَضَهُ فِي السَّيْرِ : سَارَ إِزَاءهُ، عارَض الكتابَ بالكتاب : قابله به ناقض كلامَه، عَارَضَ فلانًا : باراه وأتى بمثْل ما أَتى به، عارضَهُ في الشِّعْر، وعارضَهُ في السَّيْر، وعارضَه بمثل صنيعه، عارضَ شاعرًا : باراه، جاراه في شِعره وأتى بمثله أو أحسَن منه، عارَض بمثل صنيعه : فعل مثلَ فعله، أتى إليه بمثل ما أتى، عَارَضَ

---

[1] المحكم والمحيط لابن سِيْدَه ٢/ ٢٢ ، ط . دار الكتب العلمية بيروت ، (د.ف.ع.) . لسان العرب لابن منظور ٨/ ٨٧ ، ط . دار صادر بيروت ، (د.ف.ع.) . المعجم الوسيط لمجموعة من العلماء ١/ ٢٨٩ ، ط . دار الدعوة ، (د.ف.ع.) .

الجِنازةَ: أتاها مُعترِضًا في بعض الطَّريق ولم يتبعها من منزل الميّت، عَارَضَ فلانًا بمتاع : بادَلَهُ [1] .

ـ والمُعارضة في اصطلاح علماء آداب البحث والمناظرة هي : إبطال السائل ما ادَّعاه واستدل عليه ، بإثباته نقيض هذا المُدَّعي ، أو ما يساوي نقيضه ، أو الأخص من نقيضه[٢] .

ثالثًا : العَقْل : مصدر عَقَلَ يَعْقِل فهو عاقل، والعقل: الحِجْر والنُّهى، وهو ضِدّ الحُمْق، والعَقْلُ: التَّثَبُّت في الأُمور. والعَقْلُ: القَلْبُ، والقَلْبُ العَقْلُ، وسُمِّي العَقْلُ عَقْلًا ؛ لأَنه يَعْقِل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك ، أَي : يَحْبِسه، والعَقْلُ هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان، ويقال: لِفُلان قَلْبٌ عَقُول، ولِسانٌ سَؤُول، وقَلْبٌ عَقُولٌ فَهِمٌ؛ وعَقَلَ الشيءَ يَعْقِلُه عَقْلًا : فَهِمه[٣] .

---

(١) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ١/ ٢٧٣ ، ط . دار مكتبة الهلال ، (ع.ر.ض.). تهذيب اللغة للأزهري ١/ ٢٩٤، ط . دار إحياء التراث العربي بيروت ، (ع.ر.ض.) . لسان العرب ٧/ ١٦٦ (ع.ر.ض.) . المعجم الوسيط ٢/ ٥٩٣ ، (ع.ر.ض.).

(٢) آداب البحث والمناظرة لمحيي الدين عبد الحميد ، الفصل الرابع : في المُعارَضة صـ ٦٢ ، ط دار الطلائع مصر .

(٣) لسان العرب ١١/ ٤٥٩، (ع.ق.ل.).

مما سبق بيانه يمكن القول بأن المراد بدَفْع المُعارِض العقلي في السُّنَّة النبوية المطهرة هو: عرض الشبهات المتعلقة بالعقل ، والتي أثارها الطاعنون حول السُّنَّة النبوية المطهرة ، وإبطالها بالحُجَّة والدليل .

نبذة عن نشأة الطعن في السُّنَّة

ظهرت في بعض الفترات من تاريخنا الإسلامي بعض الفرق والطوائف المنحرفة التي أنكرت السُّنَّة النبوية والاحتجاج بها ، فمنهم من أنكر السُّنَّة النبوية المطهرة صراحةً ودعا إلى نبذها بالكلية ، زعمًا منهم أنه لا حاجة للناس إليها ، وأن في القرآن ما يغني عنها .

وفريق آخر رأى الحُجِّية في نوع منها دون غيره ، وهو ما ثبت بطريق التواتر فقط ، أو ما كان قطعي الثبوت والدلالة ، وكلا الأمرين بلا شك انحراف عن جادة الطريق .

ولقد كان أول من تعرض بالصد لهذه المذاهب المنحرفة ، والرد على أصحابها ، ودحض شبهاتهم هو : الإمام الشافِعِي – رحمه الله تعالى – ، حيث عقد فصلًا خاصًا في كتاب (الأم) ذكر فيه مناظرة بينه وبين بعض الذين يرون رد السُّنَّة كلها [١] . كما عقد في كتاب (الرسالة) فصلًا طويلًا في حُجِّية خبر الآحاد [٢] .

---

[١] الأم للشافعي ، باب : حكاية قول الطائفة التي ردت الأخبار كلها ٧ / ٢٨٧ ، ط . دار المعرفة بيروت .

(٢) الرسالة للشافعي صـ ٣٦٩ ، باب : خبر الواحد ، ط . دار الكتب العلمية بيروت / لبنان .

ثم ظهرت فئة من المستشرقين وأشياعهم في البلاد العربية والإسلامية ، والذين لم يألوا جهدًا في محاولة القضاء على الإسلام وهدم أصوله وأركانه.

ولقد بحث هؤلاء المستشرقون في كل جوانب الإسلام ، فلم يَغِب عنهم أهمية السُّنَّة النبوية المطهرة ، من حيث إنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، فتناولوها بالطعن ، والتشويه ، وإثارة الشبهات حولها .

وخلال الفترة التي ما بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وحتى الربع الأول من القرن العشرين كان الاستشراق في قمة ذروته ؛ لأنه كان مدعومًا من قِبَل الحكومات الغربية ، والتي كانت توفر له كل الأسباب المُعِيْنة على دراسة العلوم الإسلامية ، وذلك حتى يتمكن الاستعمار الغربي من التوغل في البلاد الإسلامية والعربية .

فقد بحث هؤلاء كل ما يتصل بالإسلام من : تاريخ ، وفقه ، وحديث ، وتفسير ، وأدب ، وحضارة ... حتى غزت تلك البحوث العالم الإسلامي في مؤسساته الفكرية والتربوية ومناهج التعليم .

وكان العديد من المسلمين قد تتلمذوا على أيدي هؤلاء المستشرقين ، وقد نجح الكثير من المستشرقين في التأثير على عقول هؤلاء ، فانخدعوا بكتاباتهم ودراساتهم حول الإسلام ، وذلك توهمًا منهم أن دراساتهم قامت على أساس من الموضوعية ، والحيادية ، والإنصاف، والتجرد في البحث العلمي .

ومن ثَمَّ اقتفوا آثارهم ، ورددوا دعاواهم التي لم يقيموا عليها أي بينة ، وقد بثوا سمومهم باسم البحث ، والمعرفة ، وحرية النقد ، وهم أبعد ما يكون عن العلم الصحيح ، والبحث القويم ، والنقد النزيه .

وبذلك جاءت كتابات هذا الفريق من تلامذة المستشرقين حول الإسلام عمومًا ، والسُّنَّة النبوية المطهرة خصوصًا لا تَقِلّ عن كتابات المستشرقين في إثارة الشُبَه ، والتشكيك في مصادر الشريعة الإسلامية ، والله تعالى أعلى وأعلم .

المبحث الأول : العلاقة بين العقل والشرع في ضوء الإسلام

لما كانت مصالح الدنيا والدين مبنية على المحافظة على العقل ، فقد اهتم الإسلام الحنيف به اهتمامًا بالغًا ، وجعله أحد الضروريات الخمس التي يجب المحافظة عليها ورعايتها ، كما أنه جعله مناط التكليف ، فإذا فُقِدَ العقل فُقِدَ التكليف .

ولقد ضَمَّنَ الله تعالى كتابه الكريم كثيرًا من الحُجَج ، والبراهين العقلية البيِّنة الباهرة ، والأمثال المضروبة ، والأقيسة الواضحة لكل ذي عقل ، وخاطب بهذه الأدلة أصحاب العقول ، والنهى ، والحُجَّة، ومن يعقل ويسمع.

ومع هذا التكريم وتلك العناية التي أولاها الإسلام للعقل ، فقد جعله الإسلام تابعًا للشرع ، بحيث إنه قَصَرَ مهمته على النظر فيما يرد إليه منه ، فيقوم بفحصه وترتيبه ، وإيجاد النِّسَب والعلاقات بين أفراد ذلك الوارد ، وفقًا للقواعد المأخوذة من الشرع الحنيف ، واستنادًا إلى ما وُجِدَ في هذا العقل من العلم الضروري الذي وهبه الله له ، فيستنتج العلوم والحقائق.

وبناءً على ذلك : فلا يمكن أن يتعارض الشرع مع العقل ، فالشرع أمر الله ، والعقل خلق الله ، قال تعالى : أَوَحَىٰ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ رَبَّكَ [(١)] .

وقد أحسن الإمام الغزالي – رحمه الله – حينما تعرَّض للكلام عن هذه المسألة حيث قال : " اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع ، والشرع لم يتبين إلا بالعقل ، فالعقل كالأس، والشرع كالبناء، ولن يغني أس ما لم يكن

[(١)] من الآية ٥٤ من سورة الأعراف .

بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس . وأيضًا فالعقل كالبصر ، والشرع كالشعاع ، ولن يُغْنِي البصر ما لم يكن شعاع من خارج ، ولن يُغْنِي الشعاع ما لم يكن بصر . فلهذا قال تعالى أَوْحَىٰ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١) .

وأيضًا فالعقل كالسراج ، والشرع كالزيت الذي يَمُدُّه ، فما لم يكن زيت لم يَحْصُل السراج ، وما لم يكن سراج، لم يضيئ الزيت . و على هذا نبه الله سبحانه وتعالى بقوله : أَوْحَىٰ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّكَ ، إلى قوله : أَوْحَىٰ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ رَبَّكَ (٢) . فالشرع عقل من خارج ، والعقل شرع من داخل ، وهما متعاضدان، بل متحدان . ولكون الشرع عقلًا من خارج ، سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن، نحو قوله تعالى : أَوْحَىٰ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ رَبَّكَ (٣) . ولكون العقل شرعًا من داخل ، قال تعالى في صفة العقل أَوْحَىٰ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ رَبَّكَ (٤) ،فسمى العقل دِينًا . ولكونهما مُتَّحِدَيْن قال :

---

(١) من الآية ١٥ ، ١٦ من سورة المائدة .
(٢) من الآية ٣٥ من سورة النور .
(٣) من الآية ١٧١ من سورة البقرة .
(٤) من الآية ٣٠ من سورة الروم .

أَوْحَىٰ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ رَبَّكَ [١] ، أي: نور العقل ونور الشرع . ثم قال : أَوْحَىٰ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ رَبَّكَ [٢] ، فجعلهما نورًا واحدًا . فالشرع إذا فقد العقل لم يظهر به شيء ، وصار ضائعًا ضياع الشعاع عند فقد نور البصر . والعقل إذا فقد الشرع عَجَزَ عن أكثر الأمور ، عَجْز العين عند فقد النور "[٣].

فقد بيَّن الإمام الغزالي – رحمه الله – العَلاقة بين العقل والشرع ، وأنهما متلازمان متكاملان لا يستغني أحدهما عن الآخر . فإذا ظَنَّ المكلَّف ثَمَّة تعارض بينهما ، فالواجب تقديم الشرع على العقل ؛ وذلك لأن العقل المؤمن مُصَدِّقًا للشرع في كل ما أخبر به ، بينما الشرع ليس مُصَدِّقًا للعقل في كل ما أخبر به .

وعليه : فيجب انقياد العقل للشرع واستسلامه له ، فالله تعالى أغلق جميع الطرق المُوَصِّلة إلى رضوانه ، إلا طريقًا واحدًا وهو : صراطه المستقيم الذي أرشد إليه الشرع الحكيم .

قال تعالى : أَوْحَىٰ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ رَبَّكَ [٤] .

---

[١] من الآية ٣٥ من سورة النور .

[٢] من الآية ٣٥ من سورة النور .

[٣] معارج القدس للغزالي ، تظاهر العقل والشرع وافتقار أحدهما إلى الآخر صـ ٥٧ ، ٥٨ ، ط . دار الآفاق الجديدة بيروت .

[٤] الآية ١٥٣ من سورة الأنعام .

ومن هنا وجب على كل مسلم كمال التسليم لشرع الله تعالى ، والانقياد والإذعان لأمره تعالى ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق ؛ لأن العقل الصريح لا يمكن أن يتعارض مع ما نُقِلَ إلينا من الشرع بطريق صحيح ، والله تعالى أعلى وأعلم .

المبحث الثاني : الاغترار بالعقل وتقديمه على الشرع

كانت البداية على يد فرقة من أهل الكلام والجدل وهي : المعتزلة ، وكانت بداية ظهور هذه الفرقة في عصر التابعين على يد رجل يُدعَى : واصل بن عطاء ، وهو من تلاميذ الإمام الحسن البصري – رحمه الله – ، ثم انحرف عن طريقته ، وأسَّس لهذه الفرقة منهجًا له له أصول وقواعد ، وتفصيل ذلك يمكن أن يجده القارئ في كتب الفرق [1] .

وقد مجَّد المعتزلة العقل ، وجعلوه أدل الأدلة ، وجعلوه حجة ، وقدموه على الكتاب والسنة ، وأوقفوا معرفة الله عليه.

ولعل الذي أوقعهم في هذا البلاء هو : نظرهم في الفلسفة اليونانية ، ومحاولة صِبْغها صِبْغةً إسلاميةً .

ولقد حَذَّر المعتزلة من تعلُّم الحديث ، وذموا أهله ، كما ذهبوا إلى جواز وقوع الكذب في الخبر المتواتر الذي هو مقطوع بصحته عند أهل السُّنَّة والجماعة ، كما اعتقدوا أيضًا أن الحجة العقلية كفيلة بنسخ الأخبار .

---

[1] انظر في ذلك على سبيل المثال : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ، فصل : شرح كلام المعتزلة في التوحيد وغيره صـ ١٥٥ ، ط . دار إحياء التراث العربي بيروت . الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ، الفصل الثالث : في بيان مقالات فرق أهل الضلال من القدرية المعتزلة عن الحق صـ ٩٣ فما بعدها ، ط . دار الآفاق الجديدة بيروت . الملل والنحل للشهرستاني ، الفصل الأول : المعتزلة ١ / ٤٣ ، ط . دار المعرفة بيروت .

وأما حديث الآحاد ، – وهو ما لم يجمع شروط الحديث المتواتر – : فإنهم لا يعلمون كونه صدقًا أو كذبًا ، حتى ولو كان في أعلى درجات الصحة ، فمنهم من لم يحتج به مطلقًا في أمور الدين ، ومنهم من لم يحتج به إذا خالف العقل ، ومنهم من لم يحتج به في باب الاعتقاد خاصة [١] .

واتفقوا على أن أصول المعرفة ، وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع ، والحُسْن والقُبْح يجب معرفتهما بالعقل [٢] .

واستمر الأمر على ذلك إلى أن ظهر الاستشراق كاتجاه يعتني بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة، وبحضارة الإسلام والمسلمين بصفة خاصة .

ويرى بعض المؤرخين أن بداية الاستشراق كانت مع بداية الاستعمار في العصر الحديث قُبَيل القرن التاسع عشر ، بينما يرى البعض الآخر أن الاستشراق أقدم من ذلك ، حيث يرون أن بدايته كانت مع اشتغال الغرب بترجمة الكتب العربية .

ولا شك أن للاستشراق أهدافه ، ومنهجه ، ودوافعه في دراسة الإسلام . والذي يعنينا هنا : أن اشتغال المستشرقين بنتاج الفكر الإسلامي أدى إلى إثارة الشبهات حول السنة النبوية ، حيث شعروا بأهمية هذا الرصيد الضخم

---

[١] الفرق بين الفرق ، فصل : ذكر النظامية منهم – الفضيحة السادسة عشر – صـ ١٢٨ بتصرف شديد .

[٢] الملل والنحل ، الفصل الأول : المعتزلة ١ / ٤٤ .

، فركزوا طعونهم عليها ؛ ليتسنى لهم الطعن في القرآن الكريم ، ولقد وجدوا في منهج المعتزلة السابق ما يخدم أغراضهم الدنيئة ، فتبنوه ، ودافعوا عنه ، وساروا على منواله في محاربة السُّنَّة النبوية والتهوين من شأنها ، وأعملوا عقولهم القاصرة في قطع الصلة ، ومحو العلاقة بين تلك الأحاديث وبين النبي – ﷺ – .

وعلى نهج المعتزلة والمستشرقين في موقفهما من السُّنَّة النبوية المطهرة سارت المدرسة العقلية الحديثة ، حيث استطاع المستشرقون أن يستقطبوا الكثير من أبناء المسلمين ، الذين تأثروا بثقافتهم ، وانخدعوا بآرائهم ، وما روجوه لأنفسهم من التزام المنهجية والحيادية في البحث العلمي .

وهؤلاء المقتفون لآثار المستشرقين كانوا يمثلون رموزًا بارزةً في بلدانهم ، مما كان له أثر بليغ في نشر تلك الأفكار بين المسلمين .

كما أن تتلمذ بعض أبناء المسلمين على يد هؤلاء المستشرقين جعل كثيرًا منهم يحذو حذوهم ، فكان خطرهم أكبر ، وإفسادهم أعظم ؛ لأن هدم الحصون من داخلها أشد خطرًا من أي عدوان خارجي عليها.

ولا شك أن ضعف الأمة الإسلامية ، وانصرافها عن دينها أدى إلى انبهارها بالغرب ، وتشبثها بأذياله ، وتبعيتها لأفكاره .

ولقد تأثر رواد المدرسة العقلية الحديثة بمنهج المعتزلة في التعامل مع السُّنَّة النبوية المطهرة ، فردُّوا كثيرًا منها بدعواهم مخالفة العقل .

كذلك أيضًا فإنهم تأثروا بمنهج المستشرقين وما بثوه من شبهات حول السنة النبوية . ومن ذلك : التشكيك في صحة الأحاديث النبوية ، واعتقاد وضعها على رسول الله – ﷺ – . كما شككوا في دقة التدوين ، وكتابة الأحاديث النبوية . ولجهلهم وضيق فكرهم عارضوا السُّنَّة النبوية بظاهر القرآن الكريم ، فضربوا بعضهما ببعض . ثم وجهوا سهامهم لمناهج المحدثين ، ووسموهم بأنهم إنما اعتنوا بأسانيد الأحاديث دون متونها ، وأنهم لا يفقهون دلالة ألفاظ الأحاديث التي يشتغلون بدراسة أسانيدها ، وجعلوا اختلاف الأئمة الحفاظ في الحكم على الحديث صحةً وضعفًا ناشئًا عن هوى وبواعث نفسية.

تلك هي أفكار العقليين الذين يطعنون في السُّنَّة النبوية ، مستخدمين عقولهم في ردها أو قبولها ، والله تعالى أعلى وأعلم بالصواب .

المبحث الثالث : مناقشة موضوعية للمُعارِضات العقلية للسُّنَّة النبوية

يدعي بعض المغرضين وجوب تقديم العقل على السُّنَّة النبوية ، وقد استدلوا على رأيهم الفاسد ، وفكرهم العقيم هذا بعدة مُعارِضات ، جعلوها مُستَنَدًا لهم فيما ذهبوا إليه . ومن أهم هذه المُعارِضات :

أولًا قولهم : إن العقل أسبق من السُّنَّة في الوجود ، فكيف يُقَدَّم ما هو لاحق على ما هو سابق ؟ ! . ويقولون في بيان مرادهم بذلك : إن الإنسان الذي يعطي السيادة والهيمنة للسنة ، يكون بهذا العمل قد ألغى سيادة عقله، وأسلم قيادته لعقل من سبقه ؛ لأن السُّنَّة ما هي إلا نتاج لهذا العقل السابق.

ويتساءلون : كيف يمكن للإنسان أن يعطي من سبقه في الوجود الحق في قيادة ما يتعلق بأمور زمانه ، ونيابة التفكير عنه في حل مشكلاته المعاصرة ، وتحقيق كل ما يتعلق بمصالحه ؟ !

ثانيًا قولهم : إن السُّنَّة النبوية ما هي إلا نتاج لتفاعل العقل مع الواقع المعاصر الذي قيلت فيه ، والأحداث الزمنية الجارية في ذلك الوقت دون غيره، وهذا يؤكد هيمنة العقل على السُّنَّة وسيادته عليها .

وهذا بلا شك يؤيِّد أنهم يقصدون من وراء ذلك الطعن في صلاحية السُّنَّة النبوية المطهرة لهذا العصر.

مناقشة لتلك المُعارِضات

لا شك أن المتأمل في هذه المُعارِضات يجد أنها مُعارِضات وشُبَه واهية ، لا تصدر إلا من عقل مريض مليء بكل زيف وضلال ، ويمكن الرد عليها وإبطالها من عدة وجوه :

أولًا : لقد أثبت الإسلام الحنيف السيادة والاستقلال للعقل الإنساني دون أن ينكر هذا الاستقلال أو يحاربه بأي وجه من الوجوه ، كما أنه جعل للعقل منزلةً كبيرةً في عقيدة المسلمين ؛ ولهذا كان الخطاب الإلهي في القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التأمل والتفكر في خلق السماوات والأرض .

فقد قال الله تعالى : أَوْحَىٰ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ رَبَّكَ [1] . كما أنه حث الإنسان على التفكر في خلق نفسه حيث قال : أَوْحَىٰ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ رَبَّكَ [2] .

ولقد جاء الإسلام الحنيف محررًا للعقل البشري من أثر خرافات الجاهلية ، والأساطير الباطلة ، معتقًا له من مَنْطِق الآباء والأجداد ، قال تعالى : أَوْحَىٰ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا

---

[1] الآية ١٩٠ من سورة آل عمران .

[2] الآية ٢١ من سورة الذاريات .

يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ رَبَّكَ [1] . فأثبت للعقل السيادة ، وجعل له المنزلة والمكانة الكبيرة .

إلا أنه لم يجعل هذا الاستقلال مُطْلَقًا يحلق في آفاق الحياة كيفما شاء ، بل إنه حدده وقيَّده بما يتلاءم مع طبيعته غير الكاملة .

فالعقل البشري إنما هو من صنع الله – ﷻ – المتصف بصفات الجلال والكمال ، والذي تظهر فيه معجزاته وقدرته . ومن المعجزات الإلاهية في تكوين هذا العقل البشري : أنه يتسم بالقصور . فمهما بلغ العقل البشري الغاية القصوى في درجات العلم ، ومهما أوتي من قدرة وطاقة على الاستيعاب والإدراك ، فإن هناك العديد من الأمور التي يقف عاجزًا عن إدراكها وتفهمها . فأين هذا العقل القاصر من إدراك الأمور الغيبية المتعلقة بأحوال يوم القيامة وما يرتبط به من بعث ، ونشور ، وحساب ، وثواب ، وعقاب ، وصراط ، وجنة ، ونار ... ؟ !

فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله – ﷺ – : " لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ " . قالت : قلت : يا رسول الله ، جعلني الله فداءك ، أليس يقول الله – ﷻ – :

أَوْحَىٰ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا رَبَّكَ [2] ؟ قال – ﷺ – :

---

[1] الآية ١٧٠ من سورة البقرة .

[2] الآية ٧ ، ٨ من سورة الانشقاق .

" ذَاكَ الْعَرْضُ يُعْرَضُوْنَ ، وَمَنْ نُوْقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ " [١] .

يقول الإمام ابن تَيْمِيَة – رحمه الله – : " إن العقل لا يكون دليلًا مُستَقِلًّا في تفاصيل الأمور الإلهية واليوم الآخر ، فلن أقبَل منه ما يدل عليه إن لم يُصَدِّقه الشرع ويوافقه ، فإن الشرع قول المعصوم الذي لا يخطئ ولا يُكَذِّب ، وخبر الصادق الذي لا يقول إلا حقًا ، وأما آراء الرجال فكثيرة التهافت والتناقض ، فأنا لا أَثِق برأيي ولا بعقلي في هذه المطالب العالية الإلهية ، ولا بخبر هؤلاء المختلفين المتناقضين الذين كُلٌّ منهم يقول بعقله ما يعلم العقلاء أنه باطل " ... إلى آخر ما قال [٢] .

---

[١] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب : التفسير ، باب : فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ٤ / ١٨٨٥ ، حديث رقم ٤٦٥٥ ، ط . دار ابن كثير بيروت واللفظ له قال : حدثنا عَمْرُو بن عَلِيٍّ ، حدثنا يَحْيَى، عن عُثْمَانَ بن الْأَسْوَدِ قال : سَمِعْت ابن أَبِي مُلَيْكَة ، سَمِعْت عائِشَة – رضي الله عنها – قالت ... وقال : حدثنا سُلَيْمَانُ بن حَرْبٍ ، حدثنا حَمَّادُ بن زَيْدٍ ، عن أَيُّوْبَ ، عن ابن أَبِي مُلَيْكَةَ ، عن عائِشَة – رضي الله عنها . وقال : حدثنا مُسَدَّدُ ، عن يَحْيَى ، عن أَبِي يُوْنُسَ حَاتِمُ بن أَبِي صَغِيْرَةَ ، عن ابن أَبِي مُلَيْكَةَ ، عن الْقَاسِمِ ، عن عائِشَة – رضي الله عنها – قالت ... الحديث . ومسلم في صحيحه ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : إثبات الحساب ٤ / ٢٢٠٤ ، حديث رقم ٢٨٧٦ ، ط . دار إحياء الكتب العربية بيروت قال : حدثنا أَبُو بَكْر بن أَبِي شَيْبَةَ ، وعَلِيُّ بن حَجَرٍ جميعًا ، عن إِسْمَاعِيْلَ ، قال أَبُو بَكْر : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن أَيُّوْبَ ، عن عَبْدِ اللَّهِ بن أَبِي مُلَيْكَةَ ... به بمعناه .

[٢] يُنْظَر في ذلك درء تعارُض العقل والنقل لابن تيمية ١ / ١٠٨ ، ط . دار الكنوز الأدبية الرياض .

وإن كان الله – ﷻ – قد فرض علينا الصلاة ، فمن أين لتلك العقول القاصرة أن تدرك كيفيتها وعدد ركعات كل فَرْض ، أو تفرق بين فرائضها من سُنَنها من نوافلها ؟ ! وما ذلك إلا لأن السُّنَّة النبوية قد بينت لنا كل ذلك وفصَّلته تفصيلًا ، وذلك عندما قال رسول الله – ﷺ – : " صَلُّوْا كَمَا رَأَيْتُمُوْنِي أُصَلِّي"[1] .

لذا فقد أمر الإسلام العقل بالاستسلام ، والامتثال الشرعي الصريح ، حتى ولو لم يدرك الحكمة أو السبب من ذلك.

وقد كانت أول معصية عُصِيَ الله تعالى بها سببها : إعمال العقل في الأمر الإلهي ، حينما استبد إبليس اللعين برأيه ، وأبى أن يسجد لآدم – عليه السلام – وقال : أَوَّحَىَ قَالَ أَنَاْ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ رَبَّكَ [2] . فلما لم يدرك عقله المريض السبب ، رفض الامتثال ، فكانت المعصية ، وكانت العقوبة .

فالله – ﷻ – جعل للعقل في إدراكه لطبيعة الأشياء المحيطة به حدًّا ينتهي إليه لا يتعداه، ولم يجعل له السبيل في إدراك كل شيء .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب : الأذان ، باب : من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد ١ / ٢٢٦ ، حديث رقم ٦٠٥ واللفظ له قال : حدثنا مُحَمَّدُ بن الْمُثَنَّى قال : حدثنا عَبْدُ الْوَهَابِ قال : حدثنا أَيُّوْبَ ، عن أَبِي قُلَابَةَ قال : حدثنا مالك بن الحويرث – رضي الله عنه – ... من حديث طويل .

[2] من الآية ١٢ من سورة الأعراف .

وفي ذلك يقول الإمام الشاطِبِي – رحمه الله – : " إن الله جعل للعقول في إدراكها حدًّا تنتهي إليه لا تتعداه ، ولم يجعل لها سبيلًا إلى الإدراك في كل مطلوب ، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان ، وما يكون ، وما لا يكون ، إذ لو كان كيف كان يكون ؟ ! فمعلومات الله لا تتناهى ، ، ومعلومات العبد متناهية ، والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى"[١].

فالعادة تحيل استقلال العقول في الدنيا بإدراك مصالحها ومفاسدها على التفصيل ؛ لأنها ناقصة ، فما بالنا بمصالح الدين ، وأمور الشرائع التي تصلح للحاضر والمستقبل ؟ ! .

وفي ذلك يقول الإمام الغزالي – رحمه الله – : " واعلم أن العقل بنفسه قليل الغِناء ، لا يكاد يتوصل إلا إلى معرفة كليات الشيء دون جزئياته " ... إلى أن قال : " وعلى الجُمْلَة: فالعقل لا يهتدي إلى تفاصيل الشرعيات . والشرع تارة يأتي بتقرير ما استقر عليه العقل ، وتارة بتنبيه الغافل وإظهار الدليل ؛ حتى يتنبه لحقائق المعرفة ، وتارة بتذكير العاقل ؛ حتى يتذكر ما فقده ، وتارة بالتعليم ، وذلك في الشرعيات ، وتفصيل أحوال المعاد . فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة ، والأفعال المستقيمة ، والدال على مصالح الدنيا والآخرة ، ومن عَدَلَ عنه فقد ضل سواء السبيل " [٢] .

---

[١] الاعتصام للشاطبي ٢ ، ٣١٨ ، ط . المكتبة التجارية مصر .

[٢] معارج القدس ، تظاهر العقل والشرع وافتقار أحدهما إلى الآخر صـ ٥٨ .

وبناءً عليه : فيجب أن تُقَدَّم السُّنَّة النبوية المطهرة على العقل وجميع إدراكاته ؛ لأن مَن قدَّم العقل على الشرع لَزِمَه القَدْح في العقل والشرع معًا؛ لأن العقل قد شَهِدَ للوحي والشرع بأنه أعلم منه ؛ لأنه من عند الله .

وفي ذلك يقول الإمام ابن تَيْمِيْة – رحمه الله – : " فمَن قَدَّمَ العقل على الشرع ؛ فقد قَدَحَ في العقل والشرع جميعًا ، وهو حال الذين قالوا : أَوَحَىٰ لَوَكُنَّا نَسَمَعُ أَوَنَعۡقِلُ مَاكُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ رَبَّكَ " (١) ، (٢) .

إذًا فلا يجوز أن يقال بتقديم العقل على السُّنَّة النبوية ؛ لأنه أسبق في الوجود منها ، فالعقل صُنْع الله ، والسُّنَّة وحي الله .

ومما يؤكد ذلك : أن الله – ﷻ – جعل المعجزات الخارقة لكل مألوف عقلي وعِلْمي ؛ ليقهر بها غرور العقل وغرور العلم ، وإلا فماذا يملك العقل من نجاة إبراهيم – عليه السلام – من النار التي أوقدها له أولياء الشيطان ، ثم ألقوه فيها أنها لم تمسه بسوء قط ؟ ! وماذا يملك العقل في شأن عصا موسى – عليه السلام – في أوضاعها الثلاثة ؟ ! فتارةً تنقلب ثعبانًا ليبطل سحر سحرة فرعون، وتارةً يضرب بها البحر فينفلق كالطود العظيم ، وتارةًا يضرب بها الحجر فتتفجر منه عيون الماء .

وهل يستطيع العقل أن يدرك كيفية تسخير الجِن ، والطير ، وجميع قوى الطبيعة : كالريح، وإسالة الطاقة من الأرض ، كما حدث من قدرة الله التي

---

(١) من الآية ١٠ من سورة الملك .

(٢) درء تعارُض العقل والنقل ٣ / ٣٩ .

وهبها سليمان – عليه السلام – ؟ ! وهل يستطيع العقل أن يدرك كيفية إعادة الروح بعد مفارقتها لجسد الميت ، كما أجرى الله ذلك على يد عبده ورسوله عيسى – عليه السلام – معجزةً له أمام عناد بني إسرائيل وكفرهم ؟ ! وهل يستطيع العقل المعاصر بما أوتي من عِلْم وتكنولوجيا خارقة أن يقتلع عرشًا بكل ما فيه ، ثم ينقله من اليمن إلى الشام في لحظة هي خارج نطاق الحسبان الزمني عبر آلاف الكيلو مترات دون أن يصيبه أدنى خلل في نظامه ، مثلما صنع الله ذلك معجزةً لنبيه سليمان – عليه السلام – ؟ ! فأين العقل هنا ؟ ! وماذا يملك أمام كل هذه الأمور غير التسليم والخضوع والإذعان ؟ !

ونحن نسأل منكري السُّنَّة الذين يدَّعون تقديم العقل على السُّنَّة المطهرة ، تلك الوقائع المذهلة التي أيد الله بها رسوله محمد – ﷺ – بلا شك أنها تخالف العقل مخالفةً صريحةً بمَنْطِقهم ، فهل أنتم مؤمنون بها ؟ فإن كنتم مؤمنون بها فيلزمكم الإيمان والتصديق بالأحاديث التي قصت علينا تلك الوقائع مثلما قصها القرآن الكريم ، وإن أصررتم على تكذيبكم لهذه الأحاديث فيلزمكم أن تكذبوا القرآن ؛ لأنه قص علينا من هذه الوقائع ما قصه القرآن الكريم ، فماذا أنتم فاعلون ؟ ! [1] .

[1] انظر في ذلك الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السُّنَّة النبوية للدكتور عبد العظيم المطعني صـ ١٥٠ ، ١٥١ ، ط . مكتبة وهبة القاهرة بتصرف

فكيف نجعل العقل حاكمًا على شرعه ، ثم نقدمه عليه بعد كل ذلك ، وكيف نتصور أن الشارع الحكيم يمكن أن يشرع شيئًا يتناقض مع العقول المحكومة بشرعه الحنيف ؟ !

ثانيًا : إن السُّنَّة النبوية المطهرة ليست نتاجًا لتفاعل العقل مع الواقع كما يزعم هؤلاء ، وإنما هي شرع أُوْحِيَ به إلى رسول الله – ﷺ – المعصوم من الله – ﷻ – ، إذ لو كانت كذلك لاقتصرت أحاديثها على الفترة الزمنية أو المرحلة التي وُجِدَ فيها رسول الله – ﷺ – فقط ، وهذا ما أثبت الواقع خطأه ؛ لأن السُّنَّة النبوية المطهرة قد تناولت أحداثًا واقعية خارجة عن زمن النبي – ﷺ – : كالفتن ، والملاحم، وأشراط الساعة ، وما يُستَقبل من الزمان .

فإذا رجعنا إلى السُّنَّة النبوية المطهرة فإننا نجد فيها الكثير من الأمثلة على ذلك ، ونأخذ منها على سبيل المثال لا الحصر :

عن أبي بكرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : " إِنَّهَا سَتَكُوْنُ فِتَنٌ ، أَلَا ثُمَّ تَكُوْنُ فِتْنَةٌ ، الْقَاعِدُ فِيْهَا خَيْرٌ مِن الْمَاشِي فِيْهَا ، وَالْمَاشِي فِيْهَا خَيْرٌ مِن السَّاعِي إِلَيْهَا ، أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ ، أَوْ وَقَعَتْ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ . قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُوْلَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ ، وَلَا غَنَمٌ ، وَلَا أَرْضٌ ؟ قَالَ – ﷺ – : يَعْمَدُ إِلَى سَيْفِهِ ، فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ، ثُمَّ لِيَنْجُوَ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ . قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُوْلَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ ، حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ ،

أَوْ يَجِئُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي ؟ قَالَ – ﷺ – : يَبُوْءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ ، وَيَكُوْنُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ " [1] .

وعن أبي هريرة – ﷺ – ، عن النبي – ﷺ – قال : " سَتَكُوْنُ فِتَنٌ ، الْقَاعِدُ فِيْهَا خَيْرٌ مِن الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيْهَا خَيْرٌ مِن الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيْهَا خَيْرٌ مِن السَّاعِي ، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً ، أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ " [2] .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٣٩ ، ط . مؤسسة قرطبة القاهرة قال : ثنا وَكِيْعٌ ، ثنا عُثْمَانُ الشَّحَّامِيّ ، قال : حدثني مُسْلِم بن أَبِي بَكْرَةَ ، عن أبيه ... الحديث بمعناه . والإمام مُسْلِم في صحيحه ، كتاب : الفتن ، باب : نزول الفتن كمواقع القطر ٤ / ٢٢١٢ ، حديث رقم ٢٨٨٧ واللفظ له قال : حدثني أَبُو كَامِل الْجَحْدُرِيّ فُضَيْلُ بن حُسَيْن ، حدثنا حَمَّادُ بن زَيْدٍ ، حدثنا عُثْمَانُ الشَّحَّامِيّ ... به . وأبو داود في السنن ، كتاب : الفتن ، باب : النهي عن السعي في الفتنة ٤ / ١٦١ ، حديث رقم ٤٢٥٨ ، ط . دار الكتاب العربي بيروت . قال : حدثنا عُثْمَانُ بن أَبِي شَيْبَةَ ، حدثنا وَكِيْعٌ ، عن عُثْمَانَ الشَّحَّامِيّ ... به بمعناه .

[2] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب : الفتن ، باب : تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ٦ / ٢٥٩٤ ، حديث رقم ٦٦٧٠ واللفظ له قال : حدثنا مُحَمَّدُ بن عُبَيْدِ اللَّهِ ، حدثنا إِبْرَاهِيْمُ بن سَعْدٍ ، عن أَبِيْهِ ، عن أَبِي سَلَمَةَ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ . قال إِبْرَاهِيْمُ : وحدثني صَالِحُ بن كيسَانٍ ، عن ابن شِهَابٍ ، عن سَعِيْد بن المُسَيَّبِ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ قال ... الحديث . ومسلم في صحيحه ، كتاب : الفتن ، باب : نزول الفتن كمواقع القطر ٤ / ٢٢١١ ، حديث رقم ٢٨٨٦ قال : حدثني عَمْرُو النَّاقِد، والحَسَنُ الحُلْوَانِيُّ ، وعَبْدُ بن حُمَيْدٍ ، قال عَبْدٌ: أخبرني ، وقال الآخران : حدثنا يَعْقُوْبُ – وهو بن إِبْرَاهِيْم بن سَعْدٍ – ، حدثنا أَبِي ... به بلفظه .

أي : من وجد عاصمًا وموضعًا يلتجئ إليه ، ويعتزل فيه فليعتزل [١] .

وعن حُذَيْفَة – ﷺ – قال : قال رسول الله – ﷺ – : " يَكُوْنُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُوْنَ بِهَدْيِي ، وَلَا يَسْتَنُّوْنَ بِسُنَّتِي ، وَسَيَقُوْمُ فِيْهِمْ رِجَالٌ ، قُلُوْبُهُمْ قُلُوْبُ الْشَّيَاطِيْنِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُوْلَ اللَّهِ ، كَيْفَ أَصْنَعُ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ قَالَ – ﷺ – : تَسْمَعُ وَتُطِيْعُ لِلْأَمِيْرِ ، وَإِنْ ضُرِب ظَهْرُكَ ، وَأُخِذ مَالُكَ ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ " [٢] .

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٣ / ٣٠ ، ط . دار المعرفة بيروت .

[٢] الحديث أخرجه الإمام مُسْلِم في صحيحه ، كتاب : الإمارة ، باب : وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣ / ١٤٧٦ ، حديث رقم ١٨٤٧ واللفظ له قال : حدثني مُحَمَّدُ بن سَهْلِ بن عَسْكَرٍ التَّمِيْمِيّ ، حدثنا يَحْيَى بن حَسَّانٍ ح وحدثنا عَبْدُ اللَّهِ بن عَبْدِ الرَّحْمَن الدَّارِمِيّ ، أخبرنا يَحْيَى – وهو ابن حَسَّانٍ – ، حدثنا مُعَاوِيَةَ – يعني ابن سلام – ، حدثنا زَيْدُ بن سلام ، عن أَبِي سلام قال : قال حُذَيْفَة ... الحديث . والبَيْهَقِيّ في السُّنَن الكبرى ، كتاب : قتال أهل البغي ، باب : الترغيب في لزوم الجماعة والتشديد على من نزع يده من الطاعة ٨ / ١٥٧ ، حديث رقم ١٧٠٦٠ ، ط . مجلس دائرة المعارف النظامية الهند قال : أخبرنا أَبُو عَبْدُ اللَّهِ الحَافِظ ، أخبرنا أَبُو عَبْدُاللَّهِ مُحَمَّدُ بن يَعْقُوْبَ ، حدثنا عَبْدُ اللَّهِ بن مُحَمَّدٍ ، حدثنا عَبْدُ اللَّهِ بن عَبْدِ الرَّحْمَن الدَّارِمِيُّ ... به بلفظه .

وفي رواية : " تَلْزَمْ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِيْنَ وَإِمَامَهُمْ ، قَالَ – ﷺ – : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ ؟ قَالَ – ﷺ – : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقُ كُلُّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِك"[1] .

وعن حُذَيْفَة بن أسيد – ﷺ – قال : كان رسول الله – ﷺ – في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا فقال : " مَا تَذْكُرُوْنَ " ؟ قلنا : الساعة ، قال: " إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُوْنُ حَتَّى تَكُوْنَ عَشْرُ آيَاتٍ : خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وخَسْفٌ في جَزِيْرَةِ الْعَرَبِ ، والدُّخَانُ ، والدَّجَّالُ ، ودَابَّةُ الْأَرْضِ ، ويَأْجُوْجُ ومَأْجُوْجُ ، وطُلُوْعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، ونَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرَةِ عَدَنٍ ترحل النَّاسَ " . قال شعبة : وحدثني عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي الطفيل، عن أبي سريحة مثل ذلك لا يذكر النبي – ﷺ – ، وقال أحدهما

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب : الفتن ، باب : علامات النبوة في الإسلام ٣ / ١٣١٩ ، حديث رقم ٣٤١١ جزء من حديث واللفظ له قال : حدثنا يَحْيَى بن مُوْسَى ، حدثنا الْوَلِيْدُ قال : حدثني ابنُ جَابِرٍ قال : حدثني بُسْرُ بن عُبَيْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ قال : حدثني أَبُو إِدْرِيْس الْخَوْلَانِيّ ، أنه سَمِعَ حُذَيْفَة بن الْيَمَان يقول ... الحديث . ومسلم في صحيحه ، كتاب : الإمارة ، باب : وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣ / ١٤٧٥ ، حديث رقم ١٨٤٧ قال : حدثني مُحَمَّدُ بن المُثَنَّى ، حدثنا الْوَلِيْدُ بِن مُسْلِمٍ ... به بلفظ مقارب . وابن ماجه في السنن ، كتاب: الفتن ، باب: العزلة ٢ / ١٣١٧ ، حديث رقم ٣٩٧٩ ، ط . دار الفكر بيروت قال : حدثنا مُحَمَّد بن عَلِيٍّ ، حدثنا الْوَلِيْدُ بِن مُسْلِمٍ ... به بلفظ مقارب .

في العاشرة : " نُزُوْلُ عِيْسَى بنُ مَرْيَمَ – ﷺ – " ، وقال الآخر : " وريْحٌ تُلْقِي النَّاسَ في الْبَحْر"[1] .

وعن علي – ﷺ – قال : " إذا حدثتكم عن رسول الله – ﷺ – حديثًا ، فوالله لأن أَخِرَّ من السماء أحب إليَّ من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم ، فإن الحرب خدعة ، وإني سمعت رسول اللّه – ﷺ– يقول : " سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ [2] ، يَقُوْلُوْنَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرُهُمْ ، يَمْرُقُوْنَ مِن الدِّيْنِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِن الرَّمِيَّةِ [3] ، فَأَيْنَمَا لَقِيْتُمُوْهُمْ فَاقْتُلُوْهُمْ ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [4] .إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية

---

(1) الحديث أخرجه الإمام مُسْلِم في صحيحه ، كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : في الآيات التي تكون قبل الساعة ٤ / ٢٢٢٦ ، حديث رقم ٢٩٠١ .

(٢) الأحلام : الألباب والعقول ، واحدها : حِلْم بالكسر . النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ١ / ٤٣٤ ، ط . المكتبة العلمية بيروت ، مادة : حلم.

[3] الرمية : الصيد الذي ترميه فتقصده ، وينفذ فيه سهمك ، وقيل : هي كل دابة مرمية . المصدر السابق ٢ / ٢٦٨ ، مادة : رمى.

[4] الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١ / ٨١ قال : ثنا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، ثنا الْأَعْمَش، عن خَيْثَمَةَ ، عن سُوَيْد بن غَفَلَةَ قال : قال عَلِيٌّ ... الحديث دون قوله : " يَمْرُقُوْنَ مِن الدِّيْنِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِن الرَّمِيَّة "

البخاري في صحيحه ، كتاب : استتابة المرتدين ، باب : قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ٦ / ٢٥٣٨ ، حديث رقم ٦٥٣١ قال : حدثنا عُمَرُ بن=

الشريفة ، والتي أخبر فيها رسول الله – ﷺ – بأمور لم تقع في عصره ، وإنما هي متعلقة بالأزمان المتأخرة عن زمنه – ﷺ – ، أو بعلامات الساعة.

فما علاقة العقل البشري إذًا بالأمور التي سوف تحدث في آخر الزمان : كأشراط الساعة وغيرها ؟ ! فهل كان أحد مهما أوتي من قوة خارقة في ذكائه وإدراكه يستطيع أن يتنبأ بما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد ، أو يخبر بأمور القبر من : عذاب أو نعيم ، وأحداث اليوم الآخر ، وما أعده الله تعالى للمؤمنين في الجنة ، وما أعده الله تعالى للكافرين في النار ؟ !

وإذا كان هؤلاء المُدَّعون لا يؤمنون بالأمور الغيبية فهذا أمر آخر ، ومع ذلك نقول لهم : فماذا أنتم قائلون في شأن النبوءات التي أخبر عنها

==حَفْص بن غِيَاثٍ ، حدثنا أَبِي، حدثنا الْأَعْمَشُ ... به واللفظ له . ومسلم في صحيحه، كتاب : الزكاة ، باب : التحريض على قتل الخوارج ٢ / ٧٤٦ ، حديث رقم ١٠٦٦ قال: حدثنا مُحَمَّد بن عَبْد اللَّهِ بن نُمَيْرٍ ، وعَبْدُ اللَّهِ بن سَعِيْدٍ الْأَشَجّ جميعًا ، عن وَكِيْعٍ، قال الأَشَجُّ : حدثنا وَكِيْعٍ ، حدثنا الْأَعْمَش ... به بنحوه .
وأبو داود في السنن ، كتاب : السنة ، باب : قتال الخوارج ٤ / ٣٨٨ ، حديث رقم ٤٧٦٩ قال : حدثنا مُحَمَّد بن كَثِيْرٍ ، أخبرنا سُفْيَانٌ ، حدثنا الْأَعْمَش ... به بألفاظ متقاربة . والنَّسَائي في السنن ، كتاب : تحريم الدم ، باب : من شهر السلاح ثم وضعه في الناس ٧ / ١٣٥ ، حديث رقم ٤١١٣ ، ط . دار المعرفة بيروت قال : أخبرنا مُحَمَّدُ بن بَشَّارٍ قال : حدثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ قال : حدثنا سُفْيَانٌ ، عن الْأَعْمَشِ ... به بألفاظ متقاربة .

المصطفى – ﷺ – ، ثم وقعت في الأحداث التاريخية كما أخبر ، وما أكثر هذه الأحداث؟ ! .

وكذلك الأحاديث التي تحمل إشارات عِلْمية ، وقد قالها النبي – ﷺ – في زمن لم يكن له صلة بالعلم التجريبي ، ولم يكتشفها العلم الحديث إلا بعد قرون ؟ ! وما زال العلم يطالعنا كل يوم باكتشافات كثيرة نجد أن الحديث النبوي قد سبق إليها ، فكانت هذه الأحاديث بمثابة المعجزات الدالة على صدقه – ﷺ – ، وعلى أن السُّنَّة النبوية وحي من عند الله تعالى ، ما كان لمحمد – ﷺ – وهو الأُمِّي الذي نشأ في البادية أن يعرف شيءًا مثل ذلك، ثم تتطاول القرون ، ويتقدم العلم ، ويثبت صحة هذه الإشارات العِلْمية .

وقد كثرت الدراسات العِلْمية والطبية حول الإعجاز العِلمي في السُّنَّة النبوية المطهرة ، وأثبتت أنها بالفعل ليست من كلام بشر ، وإنما هي وحي من الله تعالى . وهذه الدراسات العِلمية منشورة في موسوعات عظيمة لمن شاء أن يتأملها .

لذلك كانت رسالته – ﷺ – خاتمة لجميع الرسالات ، ليس بعدها رسالة إلى يوم الدين ، وعامة إلى كل الأمم والأجناس ، بل إلى الثَّقَلَين – الإنس والجِن – ، قال تعالى : أَوْحَىٰ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ رَبَّكَ [1] . وقال تعالى: أَوْحَىٰ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ رَبَّكَ [2] .

([1]) من الآية ١٥٨ من سورة الأعراف .

([2]) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

وقال رسول الله – ﷺ – : " أُعْطِيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُوْرًا ، فَأَيَّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الْصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمَ وَلَمْ تُحَلّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيْتُ الْشَفَاعَةَ ، وَكَانَ الْنَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى الْنَّاسِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى الْنَّاسِ عَامَّةً " [1] .

فرسالته – ﷺ – لا تختص بزمن معين دون زمن ، بل إنها تمتد بامتداد الزمان والمكان ؛ لعالميتها وخاتميتها ، وكذا لهيمنتها على الرسالات السابقة.

وأما القرآن الكريم والذي يزعم هؤلاء المُدَّعون أنهم يؤمنون به وقد كذبوا في دعواهم ، إذ لو كانوا يؤمنون به إيمانًا حقًا لما أنكروا السُّنَّة ، ولما ادَّعَوا أنها نتاج لتفاعل العقل مع الواقع ، ففيه العديد من الآيات القرآنية التي تدل على أن السُّنَّة النبوية المطهرة وحي من عند الله – ﷻ – ، ووجوب طاعة النبي – ﷺ – فيما يأمر به وينهى عنه ، ومنها :

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب : التيمم ، باب : منه ١ / ١٢٨ ، حديث رقم ٣٢٨ واللفظ له قال : حدثنا مُحَمَّدُ بن سنان قال : حدثنا هُشَيْمٌ ح . قال : وحدثني سَعِيْدُ بن النَّضْرِ قال : أخبرنا هُشَيْمٌ قال : أخبرنا سَيَّارٌ . قال : وحدثنا يَزِيْدٌ– هو ابن صُهَيْبٍ الفَقِيْر– قال : أخبرنا جابِر بن عَبْدِ اللَّهِ – ﷺ – ، أن النبي – ﷺ – قال ... الحديث . ومسلم في صحيحه ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : منه ١ / ٣٧٠، حديث رقم ٥٢١ ، قال : حدثنا يَحْيَى بن يَحْيَى ، أخبرنا هُشَيْمٌ ... به بمعناه.

١ـ قوله تعالى : أَوَحَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ رَبَّكَ [١] . فقد أعلمنا الله تعالى أن رسوله محمد – ﷺ – لا ينطق بكلام عن هوى وغرض في نفسه ، وإنما ينطق بكلام حسبما جاء به الوحي من الله – ﷻ – .

٢ـ قوله تعالى : أَوَحَىٰ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ رَبَّكَ [٢] .

والمعنى : قل أيها الرسول الكريم للأمة : ليست عندي خزائن الله ، فلست أملكها ، ولا أملك التصرف فيها ، وإنما ذلك إلى الله وحده ، ولست أنا ملَك من الملائكة ، وإنما أنا بشر ، ولا أتَّبِع إلا ما يوحيه إليَّ ربي ، لا أتَّبِع غير ذلك ، ولا أتجاوزه .

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة والتي يطول المقام في حصرها .

وبناءً على ما سبق : فإن السُّنَّة النبوية المطهرة هي وحي من الله – ﷻ – إلى رسوله محمد – ﷺ – كالقرآن الكريم ، وليست كما يدعي المغرضون أنها نتاج لتفاعل العقل البشري مع الواقع ، ولقد بلَّغها النبي – ﷺ – كما بلَّغ القرآن الكريم ، وإن الأمة مكلَّفة بالأخذ بهما معًا ، والسير على نهجهما[٣] . وهو – ﷺ – معصوم في كل ما بَلَّغه ، فقد حفظه الله تعالى

---

[١] الآية ٣ ، ٤ من سورة النجم .

[٢] من الآية ٥٠ من سورة الأنعام .

[٣] يُنْظَر المدخل إلى السُّنَّة النبوية للدكتور عبد المهدي عبد القادر صـ ٤٧ ، ٤٩ ، ط . مكتبة الإيمان بتصرف شديد .

فيما ينطق به فلا يقول إلا حقًا ، وحَفِظه في فعله فلا يفعل إلا صوابًا ، وحَفِظه في إقراره فلا يقرر إلا ما وافق شرع الله تعالى ... فهل لنا أن نقول بعد ذلك : إن السُّنَّة النبوية نتاج لتفاعل العقل مع الواقع ؟ !!! .

ثالثًا : بالرغم من أن الصحابة – ﷺ – أسلم الأمة عقولًا بعد رسول الله – ﷺ – ، إلا أنهم لم يتجرأوا فيقدموا عقولهم وآراءهم على النقل ، بل إنهم كانوا يَتَّهِمون عقولهم على الرغم من قربهم لرسول الله – ﷺ – وتحصيلهم لأدوات الاجتهاد ، وما ذلك إلا لأن الصحابة – ﷺ – يعلمون تمام العلم أنه – ﷺ – مأمور من قِبَل ربه ، ولا اعتراض على أمر الله ، حتى ولو بدا مخالفًا لما تدركه عقولهم من العِلَل والحِكَم الظاهرة ؛ لأنهم يوقنون تمامًا أن وراء ذلك حكمة إلهية من هذا الأمر سواء علموها أم لم يعلموها، وما حدث في صلح الحُدَيْبِيَة لهو أكبر دليل على ذلك .

فقد جاء أن عُمَر بن الخطاب – ﷺ – راجع النبي – ﷺ – وأبا بكر – ﷺ – في أمر الصلح . فعن سَهْل بن حنيف – ﷺ – قال : أيها الناس ، اتهموا أنفسكم ، فإنا كنا مع رسول الله – ﷺ – يوم الحُدَيْبِيَة ، ولو نرى قتالًا لقاتلنا ، فجاء عُمَر بن الخطاب – ﷺ – فقال : يا رسول الله ، أَلَسْنَا على الحق وهم على الباطل ؟ ! فقال – ﷺ – : " بَلَى " ، فقال – ﷺ – : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ ! قال – ﷺ – : " بَلَى " ، قال – ﷺ – : فعلام نعطي الدنية في ديننا ، أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ ! فقال – ﷺ – : " يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، إِنِّي رَسُوْلُ اللَّهِ ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ

أَبَدًا "، فانطلق عُمَر – ﷺ – إلى أبي بَكْر – ﷺ – ، فقال له مثلما قال للنبي – ﷺ – ، فقال – ﷺ –: إنه رسول الله ، ولن يضيعه الله أبدًا ، فنزلت سورة الفتح ، فقرأها رسول الله – ﷺ – على عُمَر – ﷺ – إلى آخرها ، فقال عُمَر – ﷺ – : يا رسول الله ، أو فتح هو ؟ قال – ﷺ – : " نَعَمْ " [1] .

فإن أبا بَكْر الصديق وعُمَر بن الخطاب – رضي الله عنهما – على الرغم من رجاحة عقلهما ، والتي لا يمكن لأحد كائنًا من كان أن ينكرها أو يتجاهل مكانتها ، إلا أنهما وبقية الصحابة – ﷺ – وقفوا عند أمر النبي – ﷺ – وإن كان مخالفًا لظاهر الحال ، وما ذلك إلا لعلمهم بأن أمره – ﷺ – إنما هو وحي من الله – – ﷻ.

([1]) الحديث أخرجه الإمام ابن أبي شيبة في المصنف ، كتاب : المغازي ، باب : غزوة الحديبية ١٤ / ٤٣٨ ، حديث رقم ٣٨٠٠٢ قال : حدثنا عَبْدُ اللَّهِ بن نُمَيْرٍ ، قال : حدثنا عَبْدُ الْعَزِيْزِ بن سِيَاهٍ ، قال : حدثنا حَبِيْبُ بن أَبِي ثَابِتٍ ، عن أَبِي وَائِلٍ ، عن سَهْلِ بن حُنَيْفٍ قال ... الحديث بنحوه . ومسلم في صحيحه ، كتاب : الجهاد والسير، باب : صلح الحديبية في الحديبية ٣ / ١٤١١ ، حديث رقم ١٧٨٥ قال : حدثنا أَبُو بَكْر بـــن أَبِي شَيْبَةَ ، حدثنا عَبْدُ اللَّهِ بن نُمَيْرٍ ح وحدثنا ابن نُمَيْرٍ وتقاربا في اللفظ ، حدثنا أَبِي ، حدثنا عَبْدُ العَزِيْزِ بن سِيَاهٍ ... به بنحوه .
والبخاري في صحيحه ، كتاب : الجزية ، باب : ولم يذكر له ترجمة ٣ / ١١٦٢ ، حديث رقم ٣٠١١ قال : حدثنا عَبْدُ اللَّهِ بن مُحَمَّدٍ ، حدثنا يَحْيَى بن آدَمَ ، حدثنا يَزِيْدُ بن عَبْدِ الْعَزِيْزِ ، عن أبيه ... به واللفظ له .

وعن عَلِيّ بن أبي طالب – ﷺ – قال : " لَوْ كَانَ الْدِّيْنُ بِالْرَّأْيِ ؛ لَكَانَ أَسْفَلَ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِن أَعْلاهُ ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللَّهِ – ﷺ – يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ " (١) .

فالصحابة – ﷺ – كلهم مجمعون على اتباع الرسول – ﷺ – فيما يأمر وينهى ، وعلى عدم تقديم آرائهم على سُنَّة رسول الله – ﷺ – بأي حال من الأحوال . وحينما جاء التابعون ومن تبعهم ، ما كان يسعهم إلا ما قد وسع الصحابة – ﷺ – من قبلهم ، فهم لم يقدموا عقولهم وآراءهم ، بل اتهموها كما اتهمها الصحابة – ﷺ – من قَبْل.

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب : الطهارة ، باب : كيف المسح ١ / ١٦٣ ، حديث رقم ١٦٢ قال : حدثنا مُحَمَّدُ بن الْعَلَاءِ ، حدثنا حَفْصٌ – يعني ابن غِيَاثٍ – ، عن الْأَعْمَشِ ، عن أَبِي إِسْحَاقَ ، عن عَبْدِ خَيْرٍ ، عن عَلِيٍّ ... الحديث واللفظ له . والبَيْهَقِيّ في السنن الكبرى ، كتاب: الطهارة ، باب : الاقتصار بالمسح على ظاهر الخفين ١ / ٢٩٢ ، حديث رقم ١٤٣٨ قال : أخبرنا أَبُو عَلِيٍّ الرُّوذْبَارِيُّ ، أخبرنا أَبُو بَكْرِ بن دَاسَةَ ، حدثنا أَبُو داودَ ، حدثنا مُحَمَّدُ بن الْعَلَاءِ ... به بلفظه . والدارقطني في السنن ، كتاب : الطهارة ، باب : ما في المسح على الخفين من غير توقيت ١ / ٢٠٤ ، حديث رقم ٤ ، ط . دار المحاسن القاهرة قال : حدثنا مُحَمَّدُ بن الْقَاسِمِ بن زَكَرِيَّا ، ثنا أَبُو كُرَيْبٍ ... به بلفظه . والإسناد صحيح ، قال الإمام سراج الدين ابن المُلَقِّن في (تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج) صـ ٩٢ ، ط . المكتب الإسلامي بيروت : " قال عبد الغني [الحق] : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

وفي ذلك يقول الإمام أبو حَنِيْفَة – رحمه الله – : " إذا صَحَّ الحديث فهو مذهبي" [١] . وقال الإمام مالك – رحمه الله – : " إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسُّنَّة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسُّنَّة فاتركوه " [٢] . وقال الإمام الشافعي – رحمه الله – : " كل مسألة يصح فيها الخبر عن رسول الله – ﷺ – عند أهل النقل بخلاف ما قلت ، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي " [٣] . وأما الإمام أحمد – رحمه الله – فقال : " لا تقلدني ، ولا تقلد مالكًا ، ولا الشافعي ، ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا " [٤] . وقال أيضًا : " الاتباع : أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي – ﷺ – وأصحابه – ﷺ – ، ثم هو من بعد التابعين مُخَيَّر " [٥] .

فهذه هي بعض أقوال العلماء – رحمهم الله – في الأمر بالتمسك بالسُّنَّة النبوية المطهرة ، والنهي عن الأخذ بالرأي مجردًا دون بصيرة .

---

[١] حاشية ابن عابدين ١ / ٣٨٥ ، ط . دار الفكر بيروت .
[٢] مواهب الجليل لأبي عبد الله الحطَّاب ٤ / ٥٤ ، ط . عالَم الكتب .
[٣] القول المفيد للشوكاني صـ ٥٦ ، ط . دار القلم الكويت .
[٤] إرشاد النقاد للصنعاني صـ ١٤٣ ، ط . الدار السلفية الكويت .
[٥] تيسير الوصول لعبد المؤمن البغدادي الحنبلي ١ / ٢٦٨ ، ط . دار ابن الجوزي .

ومع ذلك فالسلف الصالح – ﷺ – جَوَّزُوا إعمال الفكر والعقل فيما يؤدي إلى إظهار المعنى المراد من الحديث الشريف ، والعمل بمقتضى النقل ، والرد على المخالفين للكتاب والسُّنَّة ، ولم يُجَوِّزُوا أن يكون النقل مَطِيَّة للعقل ، بحيث يوجه الإنسان آيات القرآن الكريم، وأدلة السُّنَّة النبوية المطهرة في غير الأمر التي نزلت من أجله ، كما فعل أصحاب المدرسة العقلية [١] .

وقد جعل الإمام ابن فورك – رحمه الله – أصحاب الحديث على قسمين : قسم يعنون بنقل الحديث ، وجمع طُرُقه ، وتمييز الصحيح منه من غيره ، وسماهم : أهل النقل والرواية . وقسم يعنون بالنظر العقلي في الأحاديث ، ورَدّ الشبهات عنها بالحُجَج والبراهين . ثم بيَّن أن كُلًا من القسمين أو الفريقين لا يستغني أحدهما عن الآخر ، حيث قال :

١ـ " فرقة منها هي أهل النقل والرواية ، الذين تشتد عنايتهم بنقل السُّنَن ، وتتوفر دواعيهم على تحصيل طرقها ، وحصر أسانيدها ، والتمييز بين صحيحها وسقيمها ، فيَغْلُب عليهم ذلك ويُعرَفون به ، ويُنسَبون إليه .

[١] يُنْظَر مصادر التشريع ومنهج الاستدلال والتلقي د . حمدي عبد الله صـ ١٧٨ ، ط . مكتبة أولاد الشيخ للتراث مصر بتصرف .

٢ـ وفرقة منهم يَغْلُب عليهم تحقيق طُرُق النظر ، والمقاييس ، والإبانة عن ترتيب الفروع على الأصول ، ونفي شُبَه الملبسين عنها ، وإيضاح وجوه الحُجَج والبراهين على حقائقها . فالفرقة الأولى للدِّين كالخَزْنَة للمَلِك ، والفرقة الأخرى كالبطارقة التي تَذُبُّ عن خزائن المَلِك المعترض عليها ، والمتعرضين لها " [١] .

تلك هي جذور المدرسة العقلية الحديثة ، وتلك هي الأسس الفكرية التي قامت عليها ، والروافد التي أثَّرت في تكوينها ، وفي الموقف الذي اتخذته من سُنَّة رسول الله – ﷺ ، والمداخل والأساليب التي اتبعوها لصد الناس عن سُنَّة النبي – ﷺ – ، والتهوين من شأنها وصولًا إلى ردها جزئيًا أو كليًا ، والله تعالى أعلى وأعلم بالصواب .

---

(١) مشكل الحديث وبيانه لابن فورك صـ ٣٧ ، ٣٨ ، ط . عالم الكتب بيروت .

المبحث الرابع : دراسة تطبيقية لحديث فَقْء موسى لعين مَلَك الموت

من الأحاديث التي تعرض إليها أصحاب المدرسة العقلية بالطعن والرد جملة وتفصيلًا حديث : فَقْء مُوْسَى – عليه السلام – لعين مَلَك الموت ، وزعموا أن هذا الحديث مخالف للعقل والشرع، واستدلوا على دعواهم بعدة استشكالات ومُعارِضات حول هذا الحديث . ولكن قبل أن أتعرض لتلك المُعارِضات ومناقشتها بالتفصيل ، سوف أذكر الروايات الواردة في هذا الحديث مع اختلاف ألفاظها والتي يستفاد منها في الدلالة على المقصود .

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ : أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى – عليه السلام – ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ [1] ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ : أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ : ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ : يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ [2] ، فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ ، قَالَ : أَيْ رَبِّ ، ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : ثُمَّ الْمَوْتُ ، قَالَ : فَالْآنَ ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنْ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً

---

[1] الصَّكَك : أن تضرب إحدى الركبتين الأخرى عند العَدْو فتؤثر فيهما أثرًا ، واصتكوا بالسيوف : أي تضاربوا ، والمراد : أنه ضربه ولطمه وفَقَأَ عينه كما بينته بعض الروايات . النهاية في غريب الحديث ٣ / ٤٢ ، مادة : صَكَكَ .

[2] المَتْن بفتح الميم ، وسكون المثناة : هو الظهر ، وقيل : مكتنف الصُّلب بين العصب واللحم . فتح البـــــــاري ٦ / ٤٤٢ .

بِحَجَرٍ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : " فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ [1] الْأَحْمَرِ " [2] .

---

[1] الكثيب : الرمل المستطيل المحدودب . النهاية في غريب الحديث ٤ / ١٥٢ ، مادة: كَثَبَ .

[2] الحديث أخرجه الإمام عبد الرزاق في المُصَنَّف ، باب : مُوْسَى ومَلَك الموت ١١ / ٢٧٤ ، حديث رقم ٢٠٥٣٠ ، ط . المكتب الإسلامي بيروت قال : عن مَعْمَرٍ ، عن ابن طَاووس ، عن أَبِيْه ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ... الحديث بلفظه . والإمام أحمد في المسند ١٣ / ٤٨ ، حديث رقم ٧٦٤٦ ، ط . مؤسسة الرسالة بيروت قال : حدثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أخبرنا مَعْمَرٌ ... به بلفظه . والإمام البخاري في صحيحه ، كتاب : الجنائز ، باب : مَن أحب الدفن ليلًا في الأرض المقدسة أو نحوها ١ / ٤٤٩ ، حديث رقم ١٢٧٤ قال : حدثنا مَحْمُوْدٌ ، حدثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أخبرنا مَعْمَرٌ ... به واللفظ له . وأخرجه أيضًا في كتاب : الأنبياء ، باب : وفاة مُوْسَى وذِكره بعد ٣ / ١٢٥٠ ، حديث رقم ٣٢٢٦ قال: حدثنا يَحْيَى بن مُوْسَى ، حدثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أخبرنا مَعْمَرٌ ... به بلفظ مقارب . ومسلم في صحيحه : كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل مُوْسَى ٤ / ١٨٤٢ ، حديث رقم ٢٣٧٣ قال : حدثني مُحَمَّدُ ابن رَافِعٍ وعَبْدُ بن حُمَيْدٍ ، قال عَبْدٌ : أخبرنا ، وقال ابن رَافِعٌ : حدثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أخبرنا مَعْمَرٌ ... به بلفظ مقارب . والإمام النَّسَائي في المجتبى ، كتاب : الجنائز ، باب : ولم يذكر له ترجمة ٤ / ١١٨ ، حديث رقم ٢٠٨٩ ، ط . مكتب المطبوعات الإسلامية حلب قال : أخبرنا مُحَمَّدُ بن رَافِعٍ ، عن عَبْدِ الرَّزَّاقِ قال : حدثنا مَعْمَرٌ ... به بلفظه . . والإمام ابن حِبَّان في صحيحه ، باب : ذِكْر خبر شُنِّعَ به على منتحلي سُنَن المصطفى مَن حُرِمَ التوفيق لإدراك معناه ١٤ / ١١٢ ، حديث رقم ٦٢٢٣ ، ط . مؤسسة الرسالة بيروت قال : أخبرنا عَبْد اللَّهِ بن مُحَمَّد الْأَزْدِيّ ، حدثنا إِسْحَاقُ بن إِبْرَاهِيْمَ ، أخبرنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أخبرنا مَعْمَرٌ ... به بنحوه .

وقال الإمام مُسْلِم – رحمه الله – : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ عَبْدٌ : أَخْبَرَنَا ، وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – ﷺ – قَالَ : " أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى – عليه السلام – ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ ، فَفَقَأَ عَيْنَهُ [1] ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ : أَرْسَلْتَنِى إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ – ، قَالَ : فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ : يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ ، قَالَ : أَيْ رَبِّ ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ : ثُمَّ الْمَوْتُ . قَالَ : فَالآنَ . فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : " فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ " .

قال الإمام مُسْلِم : وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ : هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ – ﷺ – عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – . فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : " جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى – عليه السلام – فَقَالَ لَهُ : أَجِبْ رَبَّكَ . قَالَ : فَلَطَمَ مُوسَى – عليه السلام – عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا ، قَالَ : فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ : إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِى إِلَى عَبْدٍ لَكَ لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِى . قَالَ : فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى عَبْدِى فَقُلِ : الْحَيَاةَ تُرِيدُ ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً . قَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ : ثُمَّ تَمُوتُ . قَالَ : فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ ، رَبِّ أَمِتْنِى مِنَ

---

[1] فقأ عينه : أي : شقها ، والفقء : الشق والبَخْص . النهاية في غريب الحديث ٣ / ٨٩٦ ، مادة : فقأ .

الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : " وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ "[1]

تلك هي أبرز الروايات الواردة في الحديث ، والتي عَمَدَ المشككون إلى الطعن فيها والنَّيْل منها استنادًا على عقولهم التي جعلوها حَكَمًا في فهم النصوص الحديثية ، زاعمين أن هذا الحديث فيه ما لا يجوز عقلًا على الله ، ولا على أنبيائه ، ولا على ملائكته . وسوف أقتصر في هذا المبحث على ذِكر أبرز المُعارِضات العقلية المثارة حول متن هذا الحديث ؛ لما لها من علاقة وطيدة بموضوع البحث .

المطلب الأول : مناقشة مُعارِض بطش موسى - عليه السلام – ورفضه تنفيذ قضاء الله

قالوا : كيف يليق بالله – تبارك وتعالى – أن يصطفي من عباده من يبطش هذا البطش بمَلَك من ملائكته المقربين من غير ذنب ارتكبه سوى أنه كُلِّف بتبليغ أمرٍ من أوامره حين قال لموسى – عليه السلام – : " أَجِبْ رَبَّكَ " ؟! وكيف يعترض موسى – عليه السلام – على تنفيذ قضاء الله بالموت ؟ ! .

فلا شك أن هذا المُعارِض الذي توهموه ليس له أساس من الصحة ، ويمكن رده من عدة وجوه :

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل مُوْسَى ٤ / ١٨٤٢ ، حديث رقم ٢٣٧٢ .

أولًا : إن الله – ﷻ – إنما أرسل مَلَك الموت إلى موسى – عليه السلام – في المرة الأولى ابتلاءً واختبارًا، ولم يرسله إليه وهو يريد قبض روحه حينئذ . وأمره أن يقول له كما جاء في بعض الروايات : " أَجِبْ رَبَّكَ " ، أمر ابتلاء لا أمرًا يريد إمضاءه ، كما أَمَرَ – سبحانه – خليله إبراهيم – عليه السلام – بذبح ولده أمر اختبار وابتلاء ، ولم يرد إمضاء ذلك ، فلما عزم على ذبحه وتله للجبين فداه بالذِّبْح العظيم . ولو أراد – سبحانه – أن يقبض روح موسى – عليه السلام – حين لَطَمَ المَلَك ، لكان ما أراد .

قال ابن خُزَيْمَة – رحمه الله – : " إن الله لم يبعث مَلَك الموت لمُوسَى – عليه السلام – وهو يريد قبض روحه حينئذ ، وإنما بعثه إليه اختبارًا " [1] .

وقال الإمام ابن حِبَّان – رحمه الله –: " وذاك أن الله – جَلَّ وعلا – أرسل مَلَك الموت إلى موسى – عليه السلام – رسالة ابتلاء واختبار ، وأمره أن يقول له : " أَجِبْ رَبَّكَ " أمر اختبار وابتلاء ، لا أمرًا يريد الله – جَلَّ وعلا – إمضاءه ، كما أَمَرَ خليله – صلى الله على نبينا وعليه – بذَبْح ابنه أمر اختبار وابتلاء دون الأمر الذي أراد الله – جَلَّ وعلا – إمضاءه ، فلما عَزَمَ على ذَبْح ابنه وتَلَّه للجبين فداه بالذِّبْح العظيم " [2] .

---

(1) فتح الباري ٦ / ٤٤٢ نقلًا عنه .

[2] صحيح ابن حِبَّان ، ذِكر خبر شُنِّع به على منتحلي سُنَن المصطفى من حرم التوفيق لإدراك معناه ١٤ / ١١٢

ثانيًا : إن موسى – عليه السلام – لم يكن يعرف في المرة الأولى أن الذي جاء إليه هو مَلَك الموت ، بل ظنه شخصًا جاء ليعتدي عليه ، فدافع عن نفسه بما يستطيع ، فأدَّت المدافعة إلى فَقْء عينه ، لا أنه قصدها بالفَقْء . والدفاع عن النفس أمر مشروع في جميع الشرائع السماوية والقوانين الأرضية ، فلما رجع مَلَك الموت إلى ربه ، وأخبره بما كان من أمره ، أَمَرَه ثانيًا أن يرجع إليه وأن يقول له : " إِنْ شِئْتَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ ، فَلَكَ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ يَدُكَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ " ، فلما خَيَّره المَلَك هذا التخيير ، ورآه موسى – عليه السلام – قد عاد سليماً مع قُرْب الوقت ، عَلِم وتيقن أنه مَلَك الموت ، وأنه جاءه بالرسالة من عند الله ، عند ذلك طابت نفسه بالموت ، ولم يستمهل وقال : " فَالْآنَ " . فلو كان قد عرفه في المرة الأولى لتصرف كما تصرف في المرة الثانية عندما تيقن أنه هو [1] .

قال الإمام النووي – رحمه الله – في مَعْرِض الأجوبة عن هذا الحديث : " والثالث : أن مُوسَى – عليه السلام – لم يعلم أنه مَلَك من عند الله ، وظَنَّ أنه رَجُل قَصَده يريد نفسه ، فدافعه عنها ، فأدت المدافعة إلى فَقْء عينه ، لا أنه قَصَدَها بالفَقْء . وتؤيده رواية : " صَكَّهُ " . وهذا جواب الأمام أبي بكر بن خُزَيْمَة ، وغيره من المتقدمين ، واختاره المَازِرِيّ ، والقاضي عِيَاض . قالوا : وليس في الحديث تصريح بأنه تعمَّد فَقْء عينه " [2] .

---

[1] المصدر السابق ١٤ / ١١٢ .

[2] المنهاج شرح مسلم بن الحجاج للنووي ١٥ / ١٢٩ ، ط . دار إحياء التراث العربي بيروت .

ثالثًا : إنه قد عُرِفَ عن موسى – عليه السلام – شدة غضبه وحِدته ، الأمر الذي جعله تعامل مع الداخل لداره دون إذنه بمقتضى بشريته . وقد أثبت الله في القرآن الكريم ما يدل على سرعة غضب موسى – عليه السلام – من : إلقاء الألواح ، وغضبه من أخيه عندما ظَنَّ أنه لم يتصدى لقومه حين عبدوا العِجْل ، وما فعله بالرجل القبطي حتى قتله ، فبالأحرى أن يكون لَطْمه لعين مَن دخل بيته بغير عِلْمه من قَبِيل هذه الأمور .

قال الإمام البَغَوِي – رحمه الله – : " وقد كان في طَبْع مُوْسَى – عليه السلام – حَمِيَّة وحِدَّة على ما قصَّ الله علينا من أمره في كتابه من وَكْزه القِبطي ، وإلقائه الألواح ، وأخذه برأس أخيه يجُرُّه إليه " [1] .

وقال الإمام بدر الدين العَيْنِي – رحمه الله – : " وقد كان في طبع مُوسَى – عليه السلام – دَّة، رُوِيَ أنه كان إذا غَضِبَ اشتعلت قُلُنْسُوَته نارًا " [2] .

ومما يدل على شدة غضبه : ما جاء في بعض روايات أحاديث الإسراء ، قال : " ثُمَّ سِرْنَا فَسَمِعْنَا صَوْتًا وَتَذَمُّرًا ، قال : فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ فقال : مَنْ هَذا مَعَكَ يَا جِبْرِيْل ؟ قال : هَذا أَخُوْكَ مُحَمَّدٌ ، قال : فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ وقال : سَلْ لِأُمَّتِكَ الْيُسْرَ ، قال : قلت : مَنْ هَذا يَا جِبْرِيْلُ ؟ قال : هَذا أَخُوْكَ مُوْسَى ، قال : قلت : عَلَى مَنْ كَانَ تَذَمُّرُهُ وَصَوْتُهُ ؟ قال: عَلَى رَبِّهِ ، قلت :

---

[1] شرح السُّنَّة للبَغَوِي ٥ / ٢٦٧ ، ط . المكتب الإسلامي بيروت .

[2] عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعَيْنِي ٨ / ١٤٩ ، ط . دار إحياء التراث العربي بيروت .

عَلَى رَبِّهِ ؟ ! قال : نَعَمْ ، إِنَّهُ يَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ وَحِدَّثْهُ " ... الحديث [1]. فهذا الحديث وإن كان سنده ضعيفًا ، إلا أنه يندرج تحت أصل شرعي معمول به

---

[1] الحديث أخرجه الحارث كما في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة ١ / ١٦٦ ، حديث رقم ٢٢، ط . مركز خدمة السنة والسيرة المدينة المنورة ، قال : حدثنا الحَسَنُ بن مُوْسَى ، حدثنا حَمَّادُ بن سَلَمَةَ ، عن أَبِيء حَمْزَةَ ، عن إِبْرَاهِيْمَ ، عن عَلْقَمَةَ بن قَيْسٍ ، عن ابن مَسْعُوْدٍ ... الحديث بطوله . وأبو يعلى في المسند ٨ / ٤٣٩ ، حديث رقم ٥٠٣٦ ، ط . دار المأمون للتراث دمشق ، قال : حدثنا هُدْبَةُ بن خَالِدٍ وشَيْبَانُ بن فَرُوْخٍ قالا : حدثنا حَمَّادُ بن سَلَمَةَ ... به بمعناه ولكن لم يذكر فيه تذمر موسى . والبزار في المسند ٥ / ١٤ ، حديث رقم ١٥٦٨ ، ط . مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة – بيروت ، قال : حدثنا مُحَمَّدُ بن مَعْمَرٍ قال : نا رُوْحُ بن أَسْلَمَ قال : نا حَمَّادُ بن سَلَمَةَ ... به بلفظ مقارب . والطبراني في المعجم الكبير ١٠ / ٦٩ ، حديث رقم ٩٩٧٦ ، ط . مكتبة العلوم والحكم الموصل ، قال : حدثنا عَلِيُّ بن عَبْدِ الْعَزِيْزِ ، ثنا حَجَّاجُ بن المِنْهَالِ ، ثنا حَمَّادُ بن سَلَمَةَ ... به بنحوه . والحاكم في المستدرك ٤ /٦٣٨ ، حديث رقم ٨٧٩٣ ، ط . دار الكتب العلمية بيروت ، قال : حدثنا عَلِيُّ بن حمشاد العَدْل ، ثنا الحَسَنُ بن عَلِيّ بن شَيْبَةَ ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بن مُحَمَّد التَّيْمِيّ ، ثنا حَمَّادُ بن سَلَمَةَ ... به بلفظ مقارب وقال : " هذا حديث تفرد به أبو حمزة ميمون الأعور ، وقد اختلفت أقاويل أئمتنا فيه ، وقد أتى بزيادات لم يخرجاها الشيخان في ذكر المعراج . وسكت عنه الذهبي في (التلخيص) . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) ، أبواب الإسراء والمعراج ١ / ٢٤٤ ، حديث رقم ٢٣٧ ، ط . دار الفكر بيروت : " رواه البزار ، وأبو يعلى ، والطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح " . ولكن إسناد هذا الحديث ضعيف ، مداره على أبي حمزة ميمون الأعور ، قال عنه الإمام أحمد : ضعيف . وقال البخاري : ليس بذاك . وقال مرة : ضعيف ، ذاهب الحديث . وقال الترمذي : وقد تُكُلِّمَ فيه من قِبَل حِفْظه . وقال أبو حاتم : ليس بقوي يُكْتَب حديثه . وقال ابن حجر ==

من القرآن كما تقرر في كتب المصطلح ، وهي الآيات القرآنية السالفة الذكر ، والتي تدل على أن في طبع مُوسَى – عليه السلام – من الحِدَّة والغلظة .

كما أنه ليس هناك مانع أيضًا أن تتفق بعض شرائعنا مع شرائع من قبلنا من الأمم ، ومعلوم في شريعتنا أن فَقْء عين الداخل إلى دارك بغير إذنك ، أو الناظر فيه بغير أمرك مباح ولا حرج فيه ، فربما كان فعل موسى – عليه السلام – من هذا الباب ، حين رأى في داره رجلا لم يعرفه ، لأنه دخل داره بغير إذنه فأخذ يده فلَطَمَه ، فأتت لَطْمَته على فَقْء عينه ، فكان استعمال موسى – عليه السلام – لهذا الفعل مباحًا له، ولا حرج عليه فيه .

وفي ذلك يقول الإمام ابن حِبَّان – رحمه الله – : " ولما كان من شريعتنا أنَّ مَن فَقَأَ عين الداخل داره بغير إذنه ، أو الناظر إلى بيته بغير أمره ، من غير جُناح على فاعله ، ولا حَرَج على مرتكبه ؛ للأخبار الجمة الواردة فيه التي أمليناها في غير موضع من كتبنا . : ، كان جائزًا اتفاق هذه الشريعة بشريعة مُوسَى – عليه السلام – بإسقاط الحَرَج عمن فَقَأَ عين الداخل داره بغير

==: ضعيف . التاريخ الكبير للبخاري ٧ / ٣٣٣ ، ترجمة رقم ١٤٧٧ ، ط . دار الفكر . الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨ / ٢٣٥ ، ترجمة رقم ١٠٦١ ، ط . دار إحياء التراث العربي بيروت . تهذيب الكمال للمزي ٢٩ / ٢٤٧ ، ترجمة رقم ٦٣٤٦ ، ط . مؤسسة الرسالة بيروت . تقريب التهذيب لابن حجر صـ ٥٥٦ ، ترجمة رقم ٧٠٥٧ ، ط . دار الرشيد حلب

إذنه ، فكان استعمال مُوسَى – عليه السلام – هذا الفعل مباحًا له ، ولا حَرَجَ عليه في فِعْله "[1].

المطلب الثاني : مناقشة مُعارِض كراهية الموت

قالوا : كيف يليق بنبي الله وكليمه موسى – عليه السلام – ، الذي اختاره الله لرسالته ، وائتمنه على وحيه ، وآثره بمناجاته ، وجعله من سادة رسله ، أن يكره الموت هذا الكُرْه، ولا يحب لقاء ربه ، مع شرف مقامه ، وعلو منزلته ، وهو ما لا يليق بالصالحين من عباد الله ، فكيف بواحد من أولي العزم من الرسل .

وقد قال رسول الله – ﷺ – : " مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَن كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ " [2] ؟ ! وقد شَهِدَ المَلَك بأن موسى – عليه السلام –

---

[1] صحيح ابن حِبَّان ، ذِكر خبر شُنِّع به على منتحلي سُنَن المصطفى من حرم التوفيق لإدراك معناه ١٤ / ١١٢

[2] الرواية بتمامها أخرجها الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب : الرقاق ، باب : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٥ / ٢٣٨٦ ، حديث رقم ٦١٤٢ قال : حدثنا حَجَّاجٌ ، حدثنا هَمَّامٌ ، حدثنا قَتَادَةُ ، عن أَنَسٍ ، عن عُبَادَة بن الصَّامِتِ ، عن النَّبِيِّ – ﷺ – قال ... الحديث ، وفي آخره : قالت عائشة – رضي الله عنها – أو بعض أزواجه: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ ، قال – ﷺ – : " لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوْبَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ " . ومُسْلِم في صحيحه ، كتاب : الذِكر والدعاء والتوبة ، ==

يكره الموت ولا يريد لقاء ربه ، حيث قال لربه بعد أن رجع إليه في المرة الأولى : " أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيْدُ الْمَوْتَ " [1] ؟ ! .

تلك هي إحدى المُعارِضات والشبهات التي أثاروها حول هذا الحديث معتمدين فيها على عقولهم السقيمة والتي لا تقبل هذا الأمر من وجهة نظرهم ؛ لأنه مما لا يجوز فعله على الأنبياء . وللرد على هذا المُعارِض العقلي أقول وبالله التوفيق :

إن كراهية الموت أمر فطري في البشر ، وقد شرع الله الدفاع عن النفس ، ونهى عن إلقائها في التهلكة. والأنبياء أنفسهم أعظم الناس شجاعة ، إلا

==باب : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٤ / ٢٠٦٥ ، حديث رقم ٢٦٨٣ قال : حدثنا هُدْبَةُ بن خَالِدٍ ، حدثنا هَمَّامٌ ... به مختصرًا . والدارمي في كتابه السنن : كتاب : الرقاق ، باب: في حُب لقاء الله ٢ / ٤٠٢ ، حديث رقم ٢٧٥٦ ، ط . دار الكتاب العربي بيروت قال : أخبرنا حَجَّاج بِن مِنْهَالٍ ، ثنا هَمَّامٌ ... به بلفظه تامًا . والترمذي في السنن ، كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء فيمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٣ / ٣٧٩ ، حديث رقم ١٠٦٦ ، ط . == ==دار إحياء التراث العربي بيروت قال : حدثنا أَحْمَدُ بن مِقْدَامٍ أَبُو الْأَشْعَثِ الْعِجْلِيّ ، حدثنا الْمُعْتَمِرُ بن سُلَيْمَانَ قال : سمعت أَبِي يُحَدِّث عن قَتَادَةَ ... به مختصرًا ، قال الإمام الترمذي : " وفي الباب عن أبي موسى ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وحديث عبادة بن الصامت حديث حسن صحيح " . والنَّسائي في المجتبى ، كتاب : الجنائز ، باب : فيمن أحب لقاء الله ٤ / ١٠ ، حديث رقم ١٨٣٦ قال : أخبرنا مُحَمَّدُ بن الْمُثَنَّى قال : حدثنا مُحَمَّدٌ قال : حدثنا شُعْبَةُ ، عن قَتَادَةَ ... به مختصرًا .

[1] أصل الحديث سبق تخريجه صـ ٢٧ من هذا البحث .

أنهم مع ذلك اتخذوا من الأسباب الواقية المشروعة ما يدفعون به عن أنفسهم الأخطار وغوائل الأعداء . فالنبي – ﷺ – هاجر خُفْيَة ، واختبأ في الغار ، وأعمى أخباره عن الأعداء ، واتخذ حَرَسًا يحرسونه حتى نزل قوله تعالى : أَوْحَىٰ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ رَبَّكَ [1] ، فصرفهم عن حراسته ، كما قاتل يوم أُحُد بين درعين ، فعن السائب بن يزيد ، أن رسول الله – ﷺ – ظاهر بين درعين يوم أُحَد [2] . وموسى – عليه السلام – وقع له من ذلك أمور كما قال تعالى : أَوْحَىٰ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ رَبَّكَ [3] ، وقال سبحانه : أَوْحَىٰ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ

---

[1] من الآية ٦٧ من سورة المائدة .

[2] الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٤ / ٤٩٩ ، حديث رقم ١٥٧٢٢ ، ط . مؤسسة الرسالة قال : حدثنا سُفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ ، حدثنا يَزِيْدُ بن خُصَيْفَةَ ، عن السَّائِبِ بن يَزِيْد – إن شاء الله – ... الحديث ، وفي آخره قال : " وحدثنا به مرة أخرى فلم يستثنِ فيه " . والترمذي في الشمائل ، باب : ما جاء في صفة درع رسول الله صـ ١٠٢ ، حديث رقم ١١٢ ، ط . مؤسسة الكتب الثقافية بيروت قال : حدثنا ابن أَبِي عُمَر ، حدثنا سُفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ ... به بمعناه . والنَّسَّائي في السنن الكبرى ، كتاب : السير ، باب : التحصين من الناس ٥ / ١٧١ ، حديث رقم ٨٥٢٩ قال : أخبرني عَبْدُ اللَّهِ بن مُحَمَّد الضَّعِيْف ، قال : حدثنا سُفْيَانُ ... به بلفظه . وابن ماجه في السنن ، كتاب : الجهاد ، باب : السلاح ٢ / ٩٣٨ ، حديث رقم ٢٨٠٦ قال : حدثنا عِيْسَى بن سوار ، ثنا سُفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ ... به بمعناه وقد ذكر فيه الاستثناء . والحديث إسناده صحيح .

[3] الآية ٣١ من سورة القصص .

ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ رَبَّكَ [1] ، وهذا كله من الأسباب المشروعة التي لا تخدش في مقام الأنبياء ولا في مكانتهم . فما المانع أن تكون حكمة الله – ﷻ – اقتضت أن يتمثل مَلَك الموت بصورة رَجُل ، ويأمره الله أن يدخل على موسى – عليه السلام – بغته ، قائلاً له : سأقبض روحك لينظر ماذا يصنع ؟ ولتظهر هذه الفطرة التي فَطَرَ الله الناس عليها حتى الأنبياء ، فيقُصّ ذلك ليكون عبرة لمن بعده .

أما قولهم : إن هذا الأمر يتنافى مع ما ثبت عن النبي – ﷺ – بخصوص الحديث المذكور : فهذه مغالطة فادحة منهم تدل على خُبث طَوِيَّتهم ، وحقد دفين في سرائرهم ، وذلك لأمرين :

أولهما : أن الحديث الذي استدلوا به في محبة لقاء الله يَرُدُّ بذاته على شبهتهم الضالة . فقد جاء في (صحيح) الإمام البخاري السياق التام لهذا الحديث . فعن أَنَس – رضي الله عنه – ، عن عُبَادَة بن الصَّامت – رضي الله عنه – ، عن النبي – ﷺ – قال : " مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ " . قَالَتْ عَائِشَةُ – رضي الله عنها – أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ : إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ ، قَالَ – ﷺ – : " لَيْسَ ذَاكِ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ . وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ

---

[1] الآية ٢٠ ، ٢١ من سورة القصص .

وَعُقُوبَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"[1] .

فهذه الرواية توضح جليًا البتر المتعمَّد منهم لسياق النص الحديثي ، والذي يبين العِلَّة من محبة لقاء الله أو كُرهه .

ثانيهما : إن هذا الحديث يحكي حالة معينة في زمن معيَّن ، وهي حالة النَّزْع ، وخروج الروح حين لا تُقبَل التوبة ، ولا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، وحين يُبَشَّر كل إنسان بما هو صائر إليه ، فيفرح المؤمن بلقاء الله ، ويكره الكافر والمنافق ذلك .

ورواية الإمام البخاري السابق ذِكرها آنفًا يوضح سياقها التام هذا المعنى . كما جاء في إحدى روايات هذا الحديث عند الإمام مُسْلِم ما يُعَضد هذا المعنى.

فعن شُرَيْحِ بن هانئ ، عن أَبِي هُرَيْرَة – ﷺ – قال : قال رسول الله – ﷺ : " مَن أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ " . قال : فأتيت عائشة – رضي الله عنها – ، فقلت: يا أم المؤمنين ، سَمِعتُ أبا هريرة – ﷺ – يَذْكر عن رسول الله – ﷺ – حديثًا ، إن كان كذلك فقد هَلَكْنا . فقالت : إن الهالك مَن هَلَكَ بقول رسول الله – ﷺ – ، وما ذاك ؟ قال : قال رسول الله – ﷺ– : " مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ

---

[1] يُنْظَر تخريج الإمام البخاري والإمام الدارمي لهذا الحديث في هامش صـ ٣٢ من هذا البحث .

لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ " . وليس منَّا أَحَد إلا وهو يكره الموت ؟ فقالت : قد قاله رسول الله – ﷺ – ، وليس بالذي تذهب إليه ، ولكن إذا شَخِصَ البصر، وحَشْرَجَ الصدر ، واقشعرَّ الجِلْد ، وتشَنَّجَت الأصابع ، فعند ذلك مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ [1] .

فقد تبيَّن من روايات الحديث أن المقصود به : تقييده بما يكون في حالة الاحتضار وخروج الروح ، وليس الأمر على إطلاقه ؛ لأنه ما من إنسان إلا وهو يكره الموت بطبعه .

ـ وأما قولهم : إن المَلَك شَهِدَ بأن موسى – عليه السلام – يكره الموت ، بدليل قوله لربه عندما رجع إليه في المرة الأولى : " أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيْدُ الْمَوْتَ"[2]، فهو ادِّعاء باطل يدُلُّ على فَهْم سقيم ، ومحاولة بائسة منهم لِلَوْي عُنُق النص تجاه ما يريدون ، وذلك لأن قول المَلَك لهذه العبارة إنما هو غاية ما وصل إليه مَبْلَغ عِلْمه من أمر مُوْسَى – عليه السلام – ، فمِن أين

---

[1] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الذِكر والدعاء والتوبة ، باب : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٤ / ٢٠٦٦ ، حديث رقم ٢٦٨٥ قال : حدثنا سَعِيْدُ بِن عَمْرو الْأَشْعَثِيِّ ، أخبرنا عَبْثَر ، عن مُطرف ، عن عامِر ، عن شُرَيْح بن هانِئ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – ... الحديث . والنَّسائي في المجتبى، كتاب : الجنائز ، باب : فيمن أحب لقاء الله ٤ / ٩ ، حديث رقم ١٨٣٤ قال : أخبرنا هِناد ، ، عن أَبِي زُبَيْدٍ – وهو عَبْثَر بن القاسم – ... به بلفظ مقارب .

[2] سبق تخريج أصل هذا الحديث صـ ٢٧ من هذا البحث .

للمَلَك أن يجزم بأن ما وقع له مع مُوْسَى – عليه السلام – هو محض كراهية للموت ليس غير ؟ ! وما هي السلطة التي يملكها المَلَك والتي تجعله يحكُم على مُوسَى – عليه السلام – هذا الحُكْم ؟ ! فلا شك أن هذا التأويل الفاسد منهم لتلك العبارة إنما هو تَجَنِّي واضح منهم على مُوسَى – عليه السلام – ، بل وعلى المَلَك نفسه .

فقد ورد في القرآن الكريم موقفًا يضاهي هذا ، فقد جاء أن الله تعالى عندما أراد أن يستخلف آدَم – عليه السلام – وذريته في الأرض ، اعترضت الملائكة بدعوى أن تلك الذرية سوف تملأ الأرض فسادًا وجُورًا ، قال تعالى : أَوَحَىٰ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ رَبَّكَ [1] ، فردَّ الله عليهم بما يبيِّن لهم أن له حكمة من هذا الأمر حيث قال : أَوَحَىٰ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ رَبَّكَ [2] . فما المانع من حمل تلك العبارة التي قالها المَلَك لله حينما رجع إليه في المرة الأولى على هذا المعنى ؟ ! فما فعلته الملائكة من حال ظنهم بآدَم – عليه السلام – هو نفسه ما فعله المَلَك من حال ظنه بمُوسَى – عليه السلام – ورفضه للموت ، فالأمر سواءً بسواء [3] .

---

[1] من الآية ٣٠ من سورة البقرة .

[2] من الآية ٣٠ من سورة البقرة .

[3] انظر دفع دعوى المُعارِض العقلي لد . عيسى بن عبد المحسن النعمي صد ٢٥٤ ، ط . دار المنهاج الرياض / السعودية .

ثم إنهم كيف يزعمون أن موسى – عليه السلام – لا يحب لقاء ربه ، وقد خَيَّرَه الله بعد أن تيقن أن الذي جاءه هو مَلَك الموت – بين الإمهال والعيش سنين عديدة بقدر ما تواريه يده من شعر الثور وبين الموت ، فاختار الموت حُبًا في لقاء الله ، وشوقًا إلى ما عنده ؟ ! .

المطلب الثالث : مناقشة مُعارِض صورة المَلَك

قالوا : هل للمَلَك حقيقة مادية جسمانية حتى يقال : إن له عينًا يمكن أن تُفْقَأ من لَطْمة واحدة ؟ ! وكيف تمكن مُوسَى – عليه السلام – من الوقيعة به ؟ ولماذا لم يدافع المَلَك عن نفسه مع قدرته على إزهاق روح مُوسَى – عليه السلام؟!.

هذا المُعارِض العقلي تناولوا فيه الحديث عن صورة المَلَك التي جاء بها إلى نبي الله مُوسَى – عليه السلام – ، وكيفية الإيقاع به ، وعدم مدافعته عن نفسه . فهذه الأمور كلها يستحيل حدوثها عقلًا من وجهة نظرهم، ومن ثَمَّ الطعن في الحديث وعدم قبوله من باب أولى .

ولكن قد غاب عن أذهان هؤلاء الطاعنين وعن عقولهم أن الملائكة يمكن أن تتشكل في صورة بشر . وقد استفاضت سور القرآن الكريم وآياته العذبة بالعديد من الأمثلة التي أكدت هذه الحقيقة . فمسألة تَمَثُّل الملائكة في صُوَر البشر ومجيئهم إلى الأنبياء على هيئة لا يعرفونها مسألة ثابتة بالكتاب والسُّنَّة . ومن ذلك : ما جاء في قصتهم مع إبراهيم و لوط – عليهما السلام – ، وكما تمثَّل المَلَك لمريم – عليها السلام – في صورة

رَجُل لم تعرفه ، حتى استعاذت منه ، وذلك في قوله تعالى : أَوَحَىٰ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا رَبَّكَ [1] .

وكمجيء جبريل – عليه السلام – إلى رسول الله – ﷺ – وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام والإحسان ، فلم يعرفه – ﷺ – حتى انصرف ، ثم أخبرهم النبي – ﷺ – بأن السائل هو جبريل – عليه السلام – [2] .

وقد نقل الإمام ابن حجر – رحمه الله – عن الإمام ابن خُزَيْمَة قوله : " وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط – عليهما السلام – في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداءً ، ولو عَرَفَهم إبراهيم – عليه السلام – لما قدَّم لهم المأكول ، ولوعَرَفَهم لوط – عليه السلام – لما خاف عليهم من قومه " [3] .

قال الإمام ابن حِبَّان – رحمه الله – : " وقد بعث الله – جَلَّ وعلا – الملائكة إلى رُسُلِه في صُوَر لا يعرفونها ، كدخول الملائكة على رسوله إبراهيم – عليه السلام – ولم يعرفهم حتى أوجس منهم خيفة ، وكمجيء جبريل – عليه السلام – إلى رسول الله – ﷺ – وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام ، فلم يعرفه المصطفى – ﷺ – حتى ولى ، فكان مجيء مَلَك الموت إلى مُوسَى

---

[1] من الآية ١٧ ، ١٨ من سورة مريم .

[2] يُنْظَر في ذلك صحيح الإمام البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان وعِلْم الساعة ١ / ٢٧ . ومسلم في صحيحه : كتاب : الإيمان، باب : بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١ / ٣٧ .

[3] فتح الباري ٦ / ٤٤٢ نقلًا عنه .

– عليه السلام – على غير الصورة التي كان يعرفه مُوسَى – عليه السلام – عليها ، وكان مُوسَى – عليه السلام – غَيُّورًا ، فرأى في داره رَجُلًا لم يعرفه ، فشال يده [1] فلَطَمه ، فأتت لَطْمته على فَقْء عينه التي في الصورة --التي يتصور بها، لا الصورة التي خلقه الله عليها " [2] وقال الإمام ابن الجوزي – رحمه الله – : " لما أكرم الله مُوسَى – عليه السلام – بكلامه ، ومحبته إياه ، بَعَثَ إليه المَلَك في صورة رَجُل ؛ ليتلطف في قبض روحه ، فصادفه بَشَرًا يكره الموت طبعًا ؛ لما يعلم من ملاقاة مشاقه ، فدفعه عن نفسه وهو لا يعلم أنه مَلَك الموت، وقد يخفى المَلَك على النبي إذا جاء في صورة البَشَر ، كما خَفِيَت الملائكة على إبْرَاهِيْم ولُوْط – عليهما السلام – ، وخَفِيَ جِبْرِيل – عليه السلام – على نبيِّنا لما جاءه في صورة رَجُل ، فسأله عن الإسلام والإيمان " ... إلى آخر ما قال [3] .

فالصورة التي تصور بها مَلَك الموت غير الصورة الحقيقية التي خلقه الله عليها ، فلا يقال: كيف تمكن موسى – عليه السلام – من الوقيعة بمَلَك الموت ؟ ومن ثَمَّ فإن اللطمة إنما وقع تأثيرها على تلك الصورة العارضة ، ولم ينل المَلَك منها أي بأس ، وذلك لحكمة أرادها الله سبحانه ، حتى إذا رد الله

---

[1] شال يده : أي : رفعها ، والشائلة : هي التي شال لبنها ، أي : قَلَّ وخَفَّ . الفائق للزمخشري ٣ / ٣٥٨ ، ط . دار المعرفة بيروت ، (شَوَلَ) .

[2] صحيح ابن حِبَّان ، ذِكر خبر شُنِّع به على منتحلي سُنَن المصطفى من حرم التوفيق لإدراك معناه ١٤ / ١١٢

[3] كشف المشكل لابن الجوزي ١ / ٩٥٧ ، ط . دار الوطن الرياض / السعودية

عليه عينه ، ورجع إلى موسى – عليه السلام – سليمًا في صورة كاملة مع قرب الوقت ، كان ذلك أقوى في اعتباره [1] .

قال الإمام ابن قُتَيْبَة – رحمه الله – : " ولما تمثَّل مَلَك الموت لمُوسَى – عليه السلام –، وهذا مَلَك الله ، وهذا نبي الله وجاذبه ، لَطَمه مُوسَى – عليه السلام – لَطْمةً أذهبت العين التي هي تخييل وتمثيل وليست حقيقة ، وعاد مَلَك الموت – عليه السلام – إلى حقيقة خِلْقته الروحانية كما كان ، لم ينتقِص منه شيء " [2] .

فمَن كان مُصَدِّقًا لما ورد في القرآن من تَمَثُّل الملائكة في صورة البشر ، عَلِمَ أنه لا مانع من أن يتمثل مَلَك الموت رجلًا ويأتي إلى موسى – عليه السلام – فلا يعرفه .

وأما الجواب عن عدم مدافعة المَلَك عن نفسه مع قدرته على ذلك : فقد سبق أن الأمر كان للابتلاء والاختبار ، وأن الله عز وجل لم يبعث مَلَك الموت لموسى – عليه السلام – وهو يريد قبض روحه حينئذ ، ولم يأمره أمرًا يريد إمضاءه ، ولو أراد سبحانه أن يقبض روح موسى – عليه السلام – حين لَطَمَ المَلَك لكان ما أراد ، وهو الذي يقول للشيء كن فيكون ، فمن كان له اعتراض فليعترض على حكمة الله .

---

[1] فتح الباري ٦ / ٤٤٣ بتصرف يسير .

[2] تأويل مختلَف الحديث لابن قُتَيْبَة صـ ٢٧٨ ، ط . دار الجيل بيروت .

المطلب الرابع : مناقشة مُعارِض ضياع حق المَلَك

قالوا : أين ضياع حق المَلَك الذي ذهبت عينه بتلك اللَّطمة ، حيث لم يعاتب الله نبيه موسى – عليه السلام – على فِعْلته تلك، فضلًا عن أن يقتص منه، بل كافأه وأكرمه بأن خيَّره بين الموت والحياة سنين كثيرة بقدر ما تواريه يده من شعر الثور ؟ ! .

إن هذا المُعارِض قد تجاوزوا فيه الحدود الممكنة والغير ممكنة ، فحقًا ما هي طبيعة تلك العقول التي اعتمدوا عليها في إثارة تلك الشبهة ؟ ! فلا شك أنها عقولًا سقيمة قد ملأها الزيف والضلال ، وأحاطت بها الظلمات من كل اتجاه . فهم يتجرءون على الله – عز وجل –، ويضعونه موضع المحاكمة ، ويتهمونه بالظلم والتقصير وإهدار حق المَلَك الذي ذهبت عينه ظلمًا وعدوانًا ، لا لشيء اقترفه غير أن الله أرسله إلى مُوسَى – عليه السلام – ليقبض روحه ، فانتهى الأمر بلَطْم عينه وضياع حقه .

فمن أين عَرَفوا أن المَلَك طالب بحقه في القصاص ولم يقتص الله له من مُوسَى – عليه السلام – ؟ ! وأي شريعة تلك التي تُشَرِّع القصاص بين الملائكة وبين بني آدم ؟ ! وهل كان فَقْء مُوسَى – عليه السلام – لعين مَلَك الموت أمرًا متعمَّدًا مقصودًا بالفِعْل حتى يقتص الله منه ؟ ! وهل هناك دليل قاطع على أن مُوسَى – عليه السلام – كان يعرف مَلَك الموت وأنه جاءه ليقبض روحه ؟ ! . تلك هي مجموعة من التساؤلات التي لو أجابوا عنها إجابة منصفة لما أثاروا هذا المُعارِض السقيم .

قال الإمام ابن خُزَيْمَة – رحمه الله – : " وعلى تقدير أن يكون عَرَفَه : فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبَشَر ؟ ! ثُم من أين له أن مَلَك الموت طلب القصاص من مُوسَى – عليه السلام –، فلم يُقْتَصّ له؟!"[1].

وقال الإمام بدر الدين العَيْنِي – رحمه الله – : " وأما قول الجَهْمِي أن الله تعالى لم يقتص للمَلَك فهو دليل على جهله ، مَن الذي أخبره أن بين الملائكة والآدميين قصاصًا ؟ ! ومَن أخبره أن المَلَك طَلَب القصاص فلم يقتص له ؟ ! وما الدليل على أن ذلك كان عمدًا ؟!"[2].

فلا مراء أن كل هذه التساؤلات تبطل حُجَّتهم المزعومة . فقد سبق أن بيَّنا من قبل أن مُوسَى – عليه السلام – لم يعرف مَلَك الموت ابتداءً ، وقد ظنَّ أنه رَجُل يريد النَّيْل منه ، وقد دخل منزله بغير إذن منه ، فدافع مُوسَى – عليه السلام – عن نفسه فلَطَمه ، فأدت اللَّطْمة إلى فَقْء عينه دون قصد منه .

وأخيرًا : إن هذا الحديث وأمثاله موطن من مواطن امتحان إيمان المرء بالغيب ، وتسليمه لله ولرسوله، وانقياده لشريعته ، وعدم تقديم شيء بين يديها من العقول والآراء .

---

[1] فتح الباري ٦ / ٤٤٢ . شرح السيوطي على سنن النَّسائي ٤ / ١١٩ ، ط . مكتب المطبوعات الإسلامية حلب نقلًا عنه .

[2] عمدة القاري ٨ / ١٤٩ .

قال الإمام ابن حِبَّان – رحمه الله – : " إن الله – جَلَّ وعلا – بعث رسول الله – ﷺ – مُعَلِّمًا لخَلْقه، فأنزله موضع الإبانة عن مراده ، فبلَّغ – ﷺ – رسالته ، وبيَّن عن آياته بألفاظ مجمَلة ومفسَّرة عَقَلَها عنه أصحابه أو بعضهم ، وهذا الخبر من الأخبار التي يدرك معناها مَن لم يُحْرَم التوفيق لإصابة الحق " ... ثم أخذ في دفع ما قيل في الحديث ، خاتمًا كلامه بالتشنيع على من يزعمون أن أصحاب الحديث حمالة الحطب ، ورُعاة الليل يجمعون ما لا ينتفعون به ، ويروون ما لا يؤجرون عليه ، ويقولون بما يبطله الإسلام ، جهلاً منه لمعاني الأخبار ، وترك التفقه في الآثار ، معتمدًا منه على رأيه المنكوس ، وقياسه المعكوس . [1] .ومن أجل ذلك ذكر أهل العِلْم هذا الحديث في جُمْلَة الأمور التي يجب على العبد اعتقادها والإيمان بها وتصديقها ، شأنه في ذلك شأن أحاديث الإسراء والمعراج ، وأحاديث أشراط الساعة ، وأشباه ذلك مما صَحَّ به النقل من قضايا الغيب ، وأمور الاعتقاد .

وفي ذلك يقول الإمام ابن قدامة – رحمه الله – في رسالته (لمعة الاعتقاد): " ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي – ﷺ – وصَحَّ به النقل عنه ، فيما شاهدناه أو غاب عنا ، نعلم أنه حق وصدق ، وسواء في ذلك ما عقلناه وجَهِلْناه ، ولم نطلع على حقيقة معناه ، مثل حديث الإسراء والمعراج ، وكان يَقَظَة لا منامًا ، فإن قريشًا أنكرته وأكبرته ، ولم تنكر

---

[1] صحيح ابن حِبَّان ، ذِكر خبر شُنِّع به على منتحلي سُنَن المصطفى من حرم التوفيق لإدراك معناه ١٤ / ١١٢.

المنامة . ومن ذلك : أن مَلَك الموت لما جاء إلى موسى – عليه السلام – ليقبض روحه لَطَمَه ، فَفَقَأَ عينه ، فرجع إلى ربه ، فرَدَّ عليه عينه " [1] .

وقال الإمام ابن تَيْمِيَة – رحمه الله – : " ولهذا كان من المعلوم بالاضطرار من دِين الإسلام : أنه يجب على الخَلْق الإيمان بالرسول – ﷺ – إيمانًا مُطْلَقًا جازمًا عامًا ، بتصديقه في كل ما أخبر ، وطاعته في كل ما أوجب وأَمَرَ ، وأن كل ما عارَض ذلك فهو باطل ، وأن مَن قال : يجب تصديق ما أدْرَكَتْه بعقلي ، ورَدُّ ما جاء به الرسول – ﷺ – لرأيي وعقلي ، وتقديم عقلي على ما أخبر به الرسول – ﷺ – ، مع تصديقي بأن الرسول – ﷺ – صادق فيما أخبر به ، فهو متناقض ، فاسد العقل ، مُلْحِد في الشرع"[2].

فالواجب على المسلم كمال التسليم لله ولرسوله – ﷺ – ، وتلقي خبرهما بالقبول والتصديق ، وعدم معارضته بالعقول الفاسدة والآراء السقيمة ، والله تعالى أعلى وأعلم بالصواب .

---

[1] لُمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ، فصل : الإيمان بكل ما أخبر به الرسول صـ ٣٠، ط . وزارة الشؤون الإسلامية السعودية .

[2] درء تعارُض العقل والنقل ١ / ١٠٨ .

الخـــاتمـــة

أهم النتائج المستخلَصة من البحث

١. لا يوجد أي تعارُض بين العقل والسُّنَّة النبوية بحال من الأحوال ؛ لأن السُّنَّة النبوية إنما جاءت لتخاطب العقول السليمة وتحررها من كل زيف وضلال .

٢. وأما ما يحدُث من تعارُض بين العقل والسُّنَّة النبوية المطهرة : فهو تعارُض لا وجود له إلا عند أصحاب العقول السقيمة ، الذين يتوهمون هذا التعارُض ، وينساقون وراء كِبْرهم وعنادهم وجهلهم ، إذ لو كان لديهم نصيب من العِلْم الصحيح المتجرِّد من كل هوى ما توهموا هذا التعارُض ، وما تجرءوا على القول به أصلًا .

٣. لم يهمل المحدثون العقل إهمالًا تامًا ، ولكنهم أعملوه بما يوافق النقل . فقد كانوا ينقدون متون الأحاديث وأسانيدها نقدًا علميًا صحيحًا قائمًا على الأدلة والبراهين العقلية والنقلية ، دون أن يتجاوزوا بعقولهم ما قررته القواعد الشرعية .

٤. أنه لابد من قراءة الشبهات المثارة حول السُّنَّة النبوية المطهرة قراءةً واقعيةً معاصرةً ، مغلفة بالأجوبة والردود المنطقية المستندة على العقل إلى جانب النقل ، لاسيما إذا ما كانت تلك الشبهات متعلقة بالجانب العقلي ، وذلك من أجل إقناع المشكك والمثير للشبهة .

فالنبي – ﷺ – عندما جاءه شاب يستأذنه في الزنا ، فقال له : يا رسول الله، ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، قالوا : مَهْ مَهْ ، لم يُجِبْه

النبي – ﷺ – بما يفيد حُكم الزنا في الشريعة الإسلامية مباشرة فحسب ، وأنه حرام فعله ، ويُحَدُّ من اقترفه ، بل أجابه النبي – ﷺ – إجابةً عقليةً منطقيةً، جعلت الشاب وكأنه هو الذي تولى الرد على ما طرحه من سؤال ، فقال – ﷺ – له : " ادْنُهْ " ، فدنى منه قريبًا ، قال : فجلس ، قال – ﷺ – : " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟ " قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال – ﷺ – : " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّوْنَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ " ... الحديث [1] .

فهذا يدل على أن النبي – ﷺ – قد استخدم مع هذا الشاب الأسلوب المنطقي المتسلسل من أجل الوصول إلى النتيجة المرغوبة . فالنبي – ﷺ – لديه القدرة الكافية في مخاطبة هذا الشاب بمنطق الحِل والحُرمة بطريق مباشر ، ولكنه – ﷺ – آثر استخدام الأسلوب العقلي المنطقي معه لأنه كان يعلم أن هذا الأسلوب هو الكفيل بإقناع هذا الشاب وإبعاده عما كان متمسكًا به .

فكذلك الشخص المثير للشبهات حول السُّنَّة النبوية ، لاسيما الشبهات المعتمدة على العقل يحتاج إلى ردود عقلية منطقية إلى جانب الأدلة النقلية؛ لتُضحِد له شبهته ، خاصة وأنه قد لا يسلم بالدليل النقلي وحده في الدلالة على المقصود .

([1]) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٦ / ٥٤٥ ، حديث رقم ٢٢٢١١ عن أبي أُمامة ، والإسناد صحيح رجاله ثقات .

توصيات البحث

١. ضرورة الإكثار من الدراسات العقلية في السُّنَّة النبوية . حيث إن هذا النوع من الشبهات يمثِّل بدوره أمرًا في غاية الخطورة على المجتمع الإسلامي ، إذ إنه يتعلق بمقْصِد من مقاصد الشريعة الإسلامية وهو : حِفْظ العقل .

٢. فالذين يتبنون الفكر العقلي في مواجهة السُّنَّة النبوية يريدون بذلك بث سمومهم بين أفراد المجتمع ، ومن ثَمَّ تجريدهم من هويتهم الإسلامية ، وانتمائهم إلى المصدر الثاني للتشريع الإسلامي وهو السُّنَّة النبوية المطهرة ، محتكمين في ذلك إلى العقل المجرد من العِلْم الصحيح ، الذي يختلف باختلاف الأشخاص وأنماط تفكيرهم ، والذي يعتريه القصور والنقص مهما أوتي من أدوات العِلْم التجريبي .

٣. تطبيق مادة : (آداب البحث والمناظرة) وتدريسيها لأقسام الحديث وعلومه على مستوى جامعة الأزهر ؛ وذلك من أجل إعداد جيل قويّ قادر على التصدي للشبهات المثارة حول السُّنَّة النبوية المطهرة خاصة العقلية منها ، وكذا من أجل التعامل مع تلك الشبهات بشكل علمي جدلي صحيح .

وبعد : فإني أحمد الله الحنان المنان أن وفقني إلى إتمام هذه الدراسة، فما كان فيها من صواب فمن الله ونعمة ، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان ، أسأل الله أن يتجاوز عنه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصَحْبه وسلِّم .

المـراجـــع

١. إحياء علوم الدين ، تأليف : محمد بن محمد ، أبو حامد الغزالي ، الناشر: دار المعرفة بيروت / لبنان ، بدون تاريخ .
٢. إرشاد النُّقَّاد إلى تيسير الاجتهاد ، تأليف : محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني ، المتوفى سنة ١١٨٢ هـ ، تحقيق : صلاح الدين مقبول أحمد ، الناشر : دار السلفية الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .
٣. الاعتصام ، تأليف : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ، أبو إسحاق المالكي الشهير بالشاطبي ، المتوفى سنة ٧٠٩ هـ ، طبعة المكتبة التجارية مصر ، بدون تاريخ .
٤. الأم ، تأليف : محمد بن إدريس أبو عبد الله المطلبي الشافعي ، المتوفى سنة ٢٠٤ هـ، دار المعرفة بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
٥. البحر الزخار ، تأليف : أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، تحقيق : د . محفوظ الرحمن زين الله ، الناشر : مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم – بيروت – المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .
٦. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة ، المتوفى سنة ٢٨٦ هـ ، تأليف : نور الدين الهيثمي ، المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ، تحقيق : د . حسين أحمد صالح الباكري ، الناشر : مركز خدمة السُّنَّة والسيرة النبوية المدينة المنورة / السعودية ، الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

٧. التاريخ الكبير ، تأليف : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي ، المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، دار النشر : دار الفكر ، بدون تاريخ .

٨. تأويل مختلَف الحديث ، تأليف : عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة ، أبو محمد الدِّيْنَوَرِي ، تحقيق : محمد زهري النجَّار ، طبعة دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٢ م .

٩. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه ، تأليف : علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي ، المتوفى سنة ٨٨٥ هـ ، تحقيق : د . عبد الرحمن الجبرين ، د عوض القرني، د . أحمد السراح ، طبعة مكتبة الرشد الرياض / السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٠. تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج ، تأليف : ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ، المتوفى سنة ٨٠٤ هـ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، طبعة المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ م .

١١. تقريب التهذيب ، تأليف : شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر ، أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، تحقيق : محمد عوامة ، الناشر : دار الرشيد حلب / سوريا ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

١٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تأليف : يوسف بن الزكي عبد

الرحمن ، أبو الحجاج المزي ، المتوفى سنة ٧٤٢ هـ ، تحقيق : د . بشار عواد معروف ، الناشر : مؤسسة الرسالة بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .

١٣. تهذيب اللغة ، تأليف : محمد بن أحمد بن الأزهري ، أبو منصور الهروي، تحقيق : محمد عوض مرعي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م .

١٤. تيسير الوصول إلى قواعد الأصول ومعاقد الفصول ، تأليف : الإمام عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي ، المتوفى سنة ٧٣٩هـ، شرح : عبد الله بن صالح الفوزان ، المُدَرِّس سابقًا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / فرع القصيم ، مقدمة الطبعة الثانية وهي الأولى لدار ابن الجوزي ، بدون تاريخ .

١٥. الجامع ، الصحيح ، المسند ، المختصر من أمور رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه، للإمام أبي عبد الله : محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، ضبطه ، ورقمه ، وذكر تكرار مواضعه ، وشرح ألفاظه وجمله ، وخرج أحاديثه في صحيح مسلم ، ووضع فهارسه : الدكتور: مصطفى الديب البغا ، نشر وتوزيع دار ابن كثير بيروت ، دار اليمامة بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

١٦. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، لأبي عيسى : محمد بن عيسى بن سورة ، المتوفى سنة ٢٩٧هـ ، تحقيق وتعليق : إبراهيم عطوة عوض ، شركة مكتبة وطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ،

الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .

١٧. الجرح والتعديل ، تأليف : عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبي محمد الرازي التميمي ، المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة الأولى١٢٧١ هـ - ١٩٥٢م .

١٨. حاشية رد المختار على الدُّر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة لابن عابدين ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر بيروت / لبنان ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٩. درء تعارُض العقل والنقل ، تأليف : أحمد بن عبد الحليل بن تَيْمِيَة ، أبو العباس الحراني ، تحقيق: محمد رشاد سالم ، الناشر : دار الكنوز الأدبية الرياض / السعودية ، الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ.

٢٠. دفع دعوى المُعارِض العقلي عن الأحاديث المتعلقة بمسائل الاعتقاد دراسة لما في الصحيحين ، تأليف : د . عيسى بن عبد المحسن بن عيسى النعمي ، دار النشر : دار المنهاج الرياض / السعودية ، الطبعة الأولى بدون تاريخ .

٢١. رسالة الآداب في عِلم آداب البحث والمناظرة ، تأليف : محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة دار الطلائع للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩ م .

٢٢. الرسالة ، تأليف : الإمام محمد بن إدريس الشافعي المطلبي ، المتوفى سنة ٢٠٤ هـ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى بدون تاريخ .

٢٣. سنن ابن ماجه ، تأليف : الحافظ أبي عبد الله : محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، المتوفى سنة ٢٧٣ هـ ، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الفكر بيروت .
٢٤. سنن أبي داود ، تأليف : الإمام الحافظ المصنف المتقن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ، بدون تاريخ .
٢٥. سنن البيهقي الكبرى ، تأليف : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار النشر : مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
٢٦. سنن الدارقطني ، تأليف : شيخ الإسلام : علي بن عمر الدارقطني ، المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، عنى بتصحيحه وتنسيقه وترقيمه وتحقيقه : السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، وبذيله التعليق المغني على الدارقطني ، تأليف المحدث العلامة : أبي الطيب : محمد شمس الحق العظيم أبادي ، طبعة دار المحاسن للطباعة القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
٢٧. سنن الدارمي ، تأليف : عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ، المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع العلمي ، دار النشر : دار الكتاب العربي بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

٢٨. السُّنَّة النبوية بين كيد الأعداء وجهل الأدعياء ، تأليف : حمدي عبد الله الصعيدي ، الناشر : مكتبة أولاد الشيخ مصر ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م.
٢٩. الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السُّنَّة النبوية ، تأليف : أ.د. عبد العظيم المطعني ، الناشر : مكتبة وهبة القاهرة ، ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .
٣٠. شرح السُّنَّة ، تأليف : الحسين بن مسعود البَغَوِي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمد زُهَير الشاويش ، طبعة المكتب الإسلامي بيروت / لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٩٣ م .
٣١. شرح السيوطي على سنن النَّسائي ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، أبو الفضل السيوطي الشافعي ، المتوفى سنة ٩١١ هـ ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ، الطبعة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .الثانية
٣٢. شرح الكوكب المنير ، تأليف : تَقِيّ الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز ابن عَلِي الفتوحي المعروف بابن النجَّار ، المتوفى سنة ٩٧٢ هـ ، تحقيق : محمد الزُّحَيلي، نزيه حماد ، الناشر: مكتبة العبيكان ، الطبعة الثانية ١٤١٨ – ١٩٩٧ م .
٣٣. الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية ، تأليف : محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي ، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، تحقيق : سيد عباس الجليمي ، الناشر : مؤسسة الكتب الثقافية بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .

٣٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تأليف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، دار النشر : مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

٣٥. صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، المتوفى سنة ٢٦٥ هـ، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووي ، مع زيادات عن أئمة اللغة : محمد فؤاد عبد الباقى ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية بيروت / ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ .

٣٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، تأليف : الإمام بدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي، المتوفى سنة ٨٠٥ هـ ، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ، بدون تاريخ .

٣٧. الفائق في غريب الحديث ، تأليف : محمود بن عُمَر الزمخشري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : دار المعرفة بيروت / لبنان ، الطبعة الثانية بدون تاريخ .

٣٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لشيخ الإسلام قاضي القضاة الحافظ أبي الفضل: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي ، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، راجعه وقدم له وضبط أحاديثه وعلق عليه الأساتذة : طه عبد الرؤوف ، ومصطفى محمد الهواري ، والسيد محمد عبد المعطي ، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية،

طبعة جديدة ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .
٣٩. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تأليف : الأستاذ الإمام: عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، طبعة منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .
٤٠. القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ، تأليف : محمد بن عَلِي بن محمد الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ ، تحقيق : عبد الرحمن عبد الخالق ، الناشر : دار القلم الكويت ، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ.
٤١. كتاب العين ، تأليف : أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ، تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار مكتبة الهلال .
٤٢. كشف المشكل من حديث الصحيحين ، تأليف : أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار النشر : دار الوطن الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.
٤٣. لسان العرب ، تأليف محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر : دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ .
٤٤. لُمعة الاعتقاد ، تأليف : ابن قدامة المقدسي ، الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
٤٥. المجتبى من السنن ، تأليف : أحمد بن شعيب ، أبو عبد الرحمن

النَّسائي ، المتوفى سنة ٣٠٣ هـ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٤٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تأليف : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ، الناشر : دار الفكر بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .

٤٧. المحكم والمحيط الأعظم ، تأليف : أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠٠م .

٤٨. المدخل إلى السُّنَّة النبوية ، تأليف : أ.د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي ، طبعة مكتبة الإيمان القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

٤٩. المستدرك على الصحيحين ، تأليف : محمد بن عبد الله بن البيع أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المتوفى سنة ٤٠٥ هـ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .

٥٠. مسند أبي يعلى ، تأليف : أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي ، تحقيق : حسين سليم أسد ، الناشر : دار المأمون للتراث والنشر دمشق / سوريا ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٤٨م .

٥١. مسند أحمد بن حنبل ، تأليف : الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو

عبد الله الشيباني الحنبلي ، المتوفى سنة ٢٤١ هـ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، الناشر : مؤسسة قرطبة القاهرة ، الطبعة الأولى ، ومؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

٥٢. مشكل الحديث وبيانه ، تأليف : أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني ، المتوفى سنة ٤٠٦ هـ ، تحقيق : موسى محمد علي ، الناشر : عالم الكتب بيروت / لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م.

٥٣. مصادر التشريع ومنهج الاستدلال والتلقي ، تأليف : حمدي عبد الله ، طبعة مكتبة أولاد الشيخ للتراث مصر ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م .ص١٧٩.

٥٤. مصنف عبد الرزاق ، تأليف الحافظ الكبير أبي بكر : عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، المتوفى سنة ٢١١ هـ ، ومعه كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي ، رواية الإمام عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، توزيع المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

٥٥. معارج القدس في مدراج معرفة النفس ، تأليف : محمد بن محمد بن محمد ، أبو حامد الغزالي ، الناشر : دار الآفاق الجديدة بيروت / لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٧٥ م .

٥٦. المعجم الكبير ، تأليف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، المتوفى سنة ٣٦٠ هـ ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم الموصل / العراق ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .

٥٧. المعجم الوسيط ، تأليف : إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، الناشر: دار الدعوة ، بدون تاريخ .
٥٨. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تأليف : علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري ، المتوفى سنة ٣٣٠ هـ ، تحقيق : هلموت ريتر ، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ .
٥٩. الملل والنحل ، للإمام أبي الفتح : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق : الأستاذ أحمد فهمي محمد ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ .
٦٠. المنهاج شرح مسلم بن الحجاج ، تأليف : الإمام : محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ، راجعه فضيلة الشيخ : خليل الميس ، حققه ، وعلق عليه، ووضع فهارسه : لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، طبعة دار القلم بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٤٩ هـ .
٦١. مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل ، تأليف : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطَّاب الرُّعَيني ، المتوفى سنة ٩٥٤ هـ ، تحقيق : زكريا عميرات ، الناشر : دار
٦٢. عالم الكتب بيروت / لبنان ، طبعة خاصة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .